الفصل الثاني
عوامل تكوين الصورة السلبية في الإعلام الغربي

المبحث الأول
العوامل التاريخية

أهمية العوامل التاريخية :

يرى الكاتب والمفكر اللبناني "محمد السماك" أن أوروبا تجد نفسها في الفترة الحالية محصورة بين احتمالين للخطر الأول هو : روسيا ما بعد الشيوعية ، والثاني هو الإسلام المتصاعد في الشرق الأوسط وآسيا الوسطي .. ثم يؤكد أن خبراء الدراسات الإستراتيجية يرون أن احتمال تصاعد الإسلام ليشكل خطراً حقيقيّاً علي أوروبا فرصته لا تتعدى ٢٠% فقط ، إنه خلاف لبعض النظريات الغربية الاستعدائية ، مثل نظرية هانتنجتون "صراع الحضارات " فإن الإسلام أقرب لأن يتفاهم مع الغرب المسيحي ، أهل الكتاب ، من أن يتفاهم مع بوذية وكنفوشية الصين،جريدة الشرق الأوسط الندنية ١٩٩٧/٥/٢٢م ..

ويضيف الكاتب .. أنه من الواضح أن ثمة شعوراً في العالم الإسلامي بأن العلاقات مع الغرب خاصة أوروبا تمر بمرحلة تأسيس لصراع عقائدى حضاري يستهدف إلغاء الآخر ، "الإسلام" من جانب المفكرين الغربيين الذين يرتكبون جريمة خطيرة بتأسيس هذه الأيدولوجية .. وهذه العملية تتغذى من ثلاثة ينابيع أساسية :

١- الذاكرة التاريخية الغربية الحافلة بصور العداء التشويهية للإسلام وهي صور تعكس إصرار الغرب بصفة عامة وأوروبا بصفة خاصة ، كما تقول الكاتبة الألمانية "زيجرد هونكة "في كتابها "الله ليس كذلك " علي دفن حقيقة الإسلام في

مقرة الأحكام التعسفية ، كما تحذر في كتابها "شمس الله تسطع علي الغرب" و"قوافل عربية في رحاب القيصر" ، من أن هذا التصوير المشوَّه والممسوخ المتوارث منذ القرون الوسطي يحول عملية الاستعداد إلي حالة مرضية يرزح الغرب الأوروبي تحت كابوسها الخانق .

٢- رد الفعل العنيف من بعض الجماعات الإسلامية في بعض الدول العربية والإسلامية.

٣- استنفار الإعلام في أوروبا والغرب لتوظيف رد الفعل هذا لشحن المجتمع الأوروبي بمشاعر العداء ، بحيث يتقبل مسئوليته في مواجهة العالم الإسلامي علي انها شر لابد منه

ما يؤكد أهمية الجوانب التاريخية لدى الذهن الأوروبي ، وقيام مونتجمري وات ، أحد كبار المفكرين الغربيين ، برسم صورة الإسلام كما يراها في الفكر الغربي بصفة عامة ، وتحمل معالم الصورة المعتقدات التالية:.

١- الإسلام دين مزور وأنه تحوير متعمد عن الحقيقة الدينية كما جاء في المسيحية.

٢- انتشار الإسلام بالسيف .

٣- الإسلام هو دين الدفاع عن الشهوانية .

٤- أن "محمد ﷺ هو عدو المسيح الأول.

يشير رمضان عبد اللطيفوف العضو المسلم بالبرلمان الروسي في مقال نشر في صحيفة نيزافيسيمايا جازيتا " بالعدد الثاني لعام١٩٩٧م إلى أن روسيا بها العديد من القوميات والشعوب المسلمة التي تسكن روسيا من غابر الأزمان باعتبارها وطناً تاريخيّاً لهم ، كما أن الإسلام قد دخل شمال القوفاز قبل مجيء المسيحية إلى روسيا ، وأن أهالي سيبريا قد اعتنقوا الإسلام قبل ثلاثة قرون من

دخول القوات القيصرية إليها ، ولذا فإن وجهة النظر التي ترى روسيا بلداً أحادي القومية والدين ، تمثل فكرة تضر بالدولة الروسية ، لأنها تدق إسفيناً بينها وبين ٢٠ مليون مسلم ، لقد ذهب عدد لا يحص من الناس ضحية العداء بين المسيحيين والمسلمين طيلة العصور ، ويوجد اليوم من يحبون أن يؤججوا أوار العداء .

أثبتت نتائج الدراسات النفسية والاجتماعية تأثير الصور الذهنية التي تتكون عند الأفراد منذ الطفولة وخلال مراحل العمر التالية علي إدراكهم للمواقف المختلفة واستجابتهم لهذه المواقف في الحاضر والمستقبل ، وقد اتضحت أهمية هذه الصور مع تعاظم تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية في نقل الثقافات وتقريب المسافات ، والغاء الحواجز الجغرافية ، أنظر كتاب علي عجوة "العلاقات العامة والصورة الذهنية " ص١٦١.

صور الماضي التي تصوِّر الغرب المسيحي وهو يصد تهديد الجيوش الإسلامية ، التي تحاول اكتساح الغرب ، قد بعُثت من جديد وتم ربطها بالحقائق السكانية والسياسية ، فصورة "شارل مارتل" ، الذي أوقف أول تقدم إسلامي بحيث منع الهلال الإسلامي من أن يطبق علي أوروبا المسيحية إلى محاولات الصليبيين الاستيلاء علي القدس وهزيمة الفيالق الإسلامية في فيينا ، كلها أشياء يتم ربطها بالحقائق مع المخاوف الجارية من توسع إسلام مناهض في أوروبا وأمريكا .. وقد لعب زعماء الصرب في البوسنة ثم كوسوفا على التاريخ الغابر، مصورين أن حرب الإبادة التي يشنونها ضد المسلمين علي أنها نضال لصد الأصولية الإسلامية المتشددة ومنع إقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا ، (كما يشير أسبوزيتو في كتاب التهديد الاسلامى).

أولاً : العوامل التاريخية وتكوين صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين

الحروب الصليبية :

يؤكد كثير من المفكرين والخبراء والباحثين أن الحروب الصليبية هي بداية الحساسية التاريخية بين الإسلام وأوروبا ، وأنها قد أسست لبداية المواجهة والصراع المزعوم بين الشرق والغرب فيرى وليم بفاف في مقال له عام ١٩٩٠م أن "الإسلام وأوروبا المسيحية كانا مشتبكين بشكل متقطع في حرب منذ زمن الحروب الصليبية ، وهناك قوم عندنا وعندهم يريدون تحويل هذه الحالة إلى حرب مقدسة بين حضارتين .. ويقول "إسبوزيتو" فى سياق نقله لهذه المقولة واستشهاده بها "حينما كتبت هذه العبارة لأول مره كنت أخشي من أن يظن البعض أن التصريح فظ بعض الشيء ، ثم اكتشفت أن مجلة "ناشيونال ريفيو" قد نشرت مقال "لدانيال بايب" بعنوان "المسلمون قادمون ! المسلمون قادمون " في نوفمبر ١٩٩٩م .

ساد اتجاه في أوروبا والولايات المتحدة في السنوات الأخيرة ، خاصة بعد سقوط الشيوعية ، أن هناك صراعاً وشيكاً بين الإسلام والغرب باعتباره مجرد مرحلة في نموذج تاريخي للمواجهة .. وفي هذا السياق نشر المفكر الأمريكي "برناردلويس"– سيأتي ذكره كأحد المستشرقين الجدد – مقالة مهمة بعنوان "جذور الهياج المسلم " في مجلة Atlantic Monthly عام ١٩٩٠م ، أكد فيها أن الصراع بين الغرب والإسلام استمر حتى الآن علي مدى أربعة عشر قرناً من الزمان ، وقد تكوَّن من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة ، الجهاد والحملات الصليبية ، الغز والاسترداد.. وهنا يتم تصوير المسلمين في صورة المحرضين والدعاة طوال أربعة عشر قرناً من الحرب فالإسلام عدواني، وأفعال المسلمين تؤخذ علي أنها مسئولة عن الهجمات وحروب الجهاد، في حين يوصف الغرب بأنه دفاعي ، يرد

بهجمات مضادة (الحملات الصليبية) وعلي الرغم من المزاعم القائلة بأربعة عشر قرناً من المواجهة ، يتم إعلام القارئ أن التهديد المعاصر للغرب من قبل الإسلام ثار "فجأة" وبناءً علي ذلك فسوف يستنتج القارئ منطقياً أن المسلمين لديهم ميل تاريخي لممارسة العنف وكراهية الغرب.

إذا كان الغرب لم يستطع الانتصار تاريخيّاً علي الإسلام في الحروب الصليبية ، فإن ذلك قد ولَّد عقدة خطيرة تشكلت فيما بعد في شكل برنامج سياسي اقتصادي اجتماعي متكامل ضد الإسلام والمسلمين هذا البرنامج يقول : "إذا كنا لم نستطع التغلب علي الإسلام في الحروب الصليبية ، فإنه يمكن التغلب عليه في الظروف السائدة بوسائل أخرى ولذلك فإن الهجوم الإعلامي والثقافي علي الإسلام تحركه رغبات مستترة ، ويأتي نتيجة لعوامل تاريخية معقدة".

مازالت العقلية الأوروبية تتحرك في كثير من الأفعال والمواقف بناءً علي الحروب الصليبية وخلفياتها خاصة قادة الرأي من المفكرين والباحثين والمحللين السياسيين والإعلاميين: يقول مراد هوفمان سفير ألمانيا السابق في المغرب والجزائر والمتحدث الإعلامي باسم الناتو سابقاً : " في الحقيقة فإن الصدمة التي سببتها الحروب الصليبية هي في الغرب أعمق منها في الشرق ، ونتجت هذه الصدمة عن الدهشة التي تلقاها الصليبيون عندما تبين لهم أن المسلمين الذين يفترض أنهم "برابرة " وثنيون" هم أكثر تطوراً وتحضراً وأكثر تقدماً في العلوم الطبيعية من الصليبيين وفي الحقيقة فإن تسامح وكرم وأمانة وحكمة القائد العسكري العظيم صلاح الدين أصبحت صفات أسطورية في الغرب الآن ، وإن طرد المسلمين واليهود من الأندلس عام ١٤٣٢م ، وهي حالة مبكرة من التطهير العرقي الديني علي طريقة كارادتيش كانت استمراراً للحروب الصليبية، والهيمنة الاستعمارية الغربية وعقلية الحروب الصليبية يقظة وحية علي نطاق واسع ، وهى تفسير نظرية الهيمنة الفكرية عند كل من "فرانسيس فوكوياما" و "صامويل هانتنجتون" (١)

ثانياً : الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي :

مازالت العقلية الغربية الاستعمارية تحكم وتسيطر علي الوجدان الأوروبي فهناك الخوف من انطلاق الاقتصاد وفق التصور الإسلامي فيقوض الاقتصاد الغربي الرأسمالي الخوف من تحرر العالم الإسلامي من كل قيود الغرب ، الخوف من أن يتحول الإسلام إلي موقف "الند" ويقضي علي ذلك التشتت والانقسام والتمزق الذي يحياه العالم الإسلامي .. وإذا كان الإعلام الأوروبي يتهم المسلمين ، افتراءً ، بأنهم يحاربون التقدم والمدنية الحديثة ، فالغرب وأوروبا يقعان في مأزق فريد ، حيث يعيش الغربيون علي "مخلفات الماضي" والدليل أنهم يستدعون روح الحروب الصليبية الاستعمارية ويوظفونها في العداء للإسلام.

يؤكد د.سيف عبد الفتاح أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة والمتخصص في تحليل "الظاهرة الإسلامية" أن الإعلام الأوروبي يلعب دوراً مهمّاً في صناعة صورة الإسلام والمسلمين ، وهي صناعة تقوم علي عدة عناصر أهمها الإدراك بأن الغرب بتكويناته المتعددة ، كان في حالة صراع مع العالم الإسلامي منذ زمن بعيد ، وهناك شعور بأن التاريخ يحمل عناصر مواجهات متعددة بين المسلمين والغربيين ، وتمثل المرحلة الأخيرة مرحلة "الاستعمار" فلا أحد ينكر أن التوسع الاستعماري الأوروبي والهيمنة التي شهدها القرنان ١٨، ١٩ هو الذي قام بالاستيطان ونهب الثروات ، مما أحدث نوعاً من الميراث الفكري والذهني حول مسئولية الغرب بشكل أو بآخر..عن تخلف البلاد الإسلامية التي تم استعمارها.[٢]

انعكست عملية استدعاء كل من الحروب الصليبية والنزعة الاستعمارية لأوروبا ، في كثير من المعالجات الصحفية التي تتناول المواجهة المزعومة ، بين الإسلام والغرب ، وكذلك ملء الفراغ الناجم عن نهاية الحرب الباردة بالمخاوف المبالغ فيها من الإسلام باعتباره بعثاً لإمبراطورية الشر " المشتبكة في حرب مع النظام العالمي الجديد وباعتباره تحدياً للاستقرار العالمي ، فقد حملت الافتتاحيات والمقالات عناوين متشائمة تحمل معاني الاستدعاء السابق مثل : "مازالوا يحاربون

الحملات الصليبية "و "الهلال الجديد في أزمة : الانتفاضة العالمية ، "الإسلام الصاعد ربما يهيمن علي الغرب " ، " الحرب الإسلامية ضد الحداثة "..

ومثل هذه العبارات تستولي علي الانتباه العام ، كما إنها تشوِّه حقائق وطبيعة الإسلام والحقائق السياسية في العالم الإسلامي وعلاقاتها المختلفة مع الغرب.

ثالثا : الثورة الإيرانية وحرب الخليج

أولاً :الثورة الإيرانية

في البداية امتزجت عملية تأسيس الثورة عام ١٩٧٩م بمفهوم "تصدير الثورة" والذي كان له تأثير مهم ، بالنسبة للعالم الإسلامي كانت الثورة الإيرانية مصدراً للإلهام ونموذجاً للتحرر وانتصار الشعوب ولكنها كانت رمزاً لتهديد الغرب ، كانت إيران تبدو للإدارة الأمريكية في ذلك الوقت برئاسة ريجان ، مرادفاً للإرهاب العالمي ، وذلك لارتباط الثورة بذكريات الرهائن الأمريكيين في إيران وحرق السفارة الأمريكية في باكستان ، والهجمات ضد الأمريكيين في إيران وغيرها.

كانت النتيجة أن أصبح نموذج الثورة الإيرانية قد دعم فقط صورة الثورة التوسعية التي تسعي لتهديد العالم ، وفي بعض الأوقات كان يبدو أن هناك قدراً قليلاً من المبالغة في القول . لأسباب مختلفة . بأنه عندما كان الخوميني يتكلم كان العالم بأسره يستمع .. وقد صور الغرب في الغالب آية الله وكأنه مشتبك في حرب مقدسة ضد قيم الغرب عن التسامح وحرية الرأي. (٣)

ورغم أن إيران قد اتخذت خطوات مهمة لتحسين علاقتها وصورتها علي المستوى الدولي ، في الفترة التي تلت انتهاء الحرب الإيرانية – العراقية (في أغسطس ١٩٨٨م) ، خاصة فيما يتعلق بصورتها في مجال حقوق الإنسان ، ورغم الجهود المختلفة لكسب رأى عام عالمي متعاطف ومتقبل الثورة الإيرانية إلا أن موقف إيران من كتاب "آيات شيطانية" ودعوة الخوميني قائد الثورة الإيرانية وزعيمها الروحي ، لإهدار دم مؤلفه "سلمان رشدي " قطع الطريق علي تطبيع

العلاقات مع الغرب ، كما أدَّى في النهاية إلى قطع العلاقات مع بريطانيا فيما بعد.

ثانياً : حرب الخليج

أدت حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م وغزو صدام حسين للكويت في أغسطس ١٩٩٠م إلى تصوير العرب والمسلمين في الإعلام الغربي علي أنهم "العدو" وأن تلك الحرب كانت حرباً بين الغرب والمسلمين ، أو بين أوروبا والولايات المتحدة من جهة وبين العرب من جهة أخرى ، خاصة أن الرئيس العراقي في ذلك الوقت قد دعا إلى الجهاد ضد "الاحتلال الغربي" لكسب التأييد من العالم الإسلامي والحركات الإسلامية ، وأصبح كل مسلم وعربي من وجهة نظر الغرب هو مؤيد لصدام حسين ، وفي هذا الصدد يقول البروفيسور أكبر أحمد (أثناء حرب الخليج كنت متواجداً في لندن ، وقد تابعت كل ما تقدمه وتعرضه وسائل الإعلام البريطانية عن صدام والحرب ، خاصة التليفزيون الذي لم يسمح بعرض وجهة النظر الإسلامية ، خاصة في البرامج الحوارية ، بل اتجهت البرامج الي تشوية موقف العرب والمسلمين من الحرب ، رغم أن الغالبية في أنحاء العالم الإسلامي كانت معارضة للغزو العراقي بشكل واضح ، ففي أحد البرامج الحوارية التي أذاعتها القناة الرابعة ، اكتشفت أن المواقف التي يتبناها الخبراء المعلقون تُعد سلفاً قبل عرضها علي الشاشة بما يخدم وجهة النظر المعادية للعرب والمسلمين). [٤]

ويشير البروفيسور أكبر إلي أن الكثير من النجوم اللامعة لكبار المحللين السياسيين والمعلقين بالتلفزيون البريطاني قد شاركت في التحيّز ضد العرب والمسلمين ، قد حدث ذلك خلال أحد البرامج الحوارية التي شارك فيها ، عندما قام المشاركون في النقاش بمصادرة فعلية لآراء "فيكتوريا برتين" ، وذلك بسبب تبنيها لوجهة نظر مؤيدة للعرب ، عكس الاتجاه السائد مما أثار العداء ضدها من جانب المعلقين المحافظين ،خاصة بعد نشر آرائها في جريدة "الجارديان".[٥]

المبحث الثاني
الأدبيات الغربية

أولاً : كتابات الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين :

هناك العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين شكَّلوا الوعي الأوروبي وساهموا في عصر النهضة في أوروبا لكنهم أساءوا للإسلام والمسلمين في كتاباتهم ومع ذلك اتخذهم العرب والمسلمون قدوة في مجال الفكر رغم أن بعض كتاباتهم وأفكارهم تقطر سُمّاً زعافاً ، مثل كتاب المفكر الفرنسي الشهير فولتير "التعصب أو النبي محمد" والذي صور فيه الرسول ﷺ في شكل طاغية[٦] .. وكتاب "الكوميديا الآلهية" للمفكر والأديب الشهير دانتي ، الذي يصف الرسول ﷺ ، بأنه يتلظي في الجحيم في الحفرة التاسعة من ثامن حلقة من حلقات جهنم ومعه علي بن أبي طالب .[٧]

كما يذكر "أرنست رينان" في محاضرة شهيرة يتم الاقتباس منها كثيراً أن المسلم " لا يقدر أن يتعلم شيء أو ينفتح في مواجهة فكرة "جديدة".. ويقول الفيلسوف الفرنسي "بونودي كونديلاك" في كتاب "التاريخ الحديث " عام١٧٦٧م عن نزول القرآن علي الرسول ﷺ : "لقد كوَّن محمد مشروعه بمحض الصدفة وبفضل جرأة احتياله ، واستطاع أن يتم مشروعه لأن الظروف ساعدته علي ذلك ، فقد كان مصاباً بالصرع ، وذات يوم فاجأته زوجته كاديج (خديجة) في إحدى النوبات وتخيلت أنه في حالة وَجْد ، واستغل محمد ﷺ سذاجتها وأكد لها أنه يري الرؤيا وأن الله يحدثه خلالها عن طريق الملاك جبريل ، وقامت زوجته بنقل ذلك إلي نساء آخريات معلنة أن زوجها نبي ، وانتشر الخبر ، وتراكمت النبوءات مع تراكم الكلام وتزايده ، فقامت الجماهير باتباع ذلك الرجل المهم الذي أقنعهم بسخاء خياله"[٨].

ويقول عالم الإنسانيات الفرنسي "دومنيك بودييه في كتاب " التاريخ العام للأتراك " الصادر عام١٦٣٢م ، ما نصه : إن المعجزات من علامات الأنبياء ، وبما أن محمداً لم يكن بوسعه أن يقدم للناس ما يؤكد معجزاته كان يجمع الشعب في الميدان العام ليكون شاهداً علي أن روح الله تنزل عليه ، من خلال الاستعانة بالخدع والخرافة ، وبينما هو منساق في اختراع الأقاصيص الجديدة ، كانت هناك حمامة مدرَّبة تطير من مكان قريب من منكبيه وتلتقط الحب الذي كان يضعه لها في فتحة أذنه ، موهماً العرب بذلك أنها كانت تملي عليه إرادة الله وكلمات شريعته.[٩]

كما أن اللورد كرومر المندوب السامي للاحتلال البريطاني في مصر ذكر فى كتابه "مصر الحديثة " سنة ١٩٠٨م ، "إن القرآن هو المسئول الأول عن تأخر مصر عن مضمار الحضارة الحديثة ".

والمفكر البريطاني جورج سيل(١٦٩٧- ١٧٣٦) الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلي الإنجليزية ، وذكر في المقدمة :" أن محمداً ﷺ في الحقيقة هو مؤلف القرآن ، وهو الذي أخترعه ، وهو أمر لا يقبل الجدل وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من الآخرين ليست قليلة!![١٠]

ثانياً : كتابات المصلحين وعلماء اللاهوت :

يرى المفكر الألماني "هوبرت هيركومر" أستاذ الأدب الألماني بجامعة برن بسويسرا في دراسته القيمة "صورة الإسلام في الأدب الألماني في العصر الوسيط " أن مؤسسات الغرب الكنسية كانت لها إسهامات مخزية في تشوية صورة العرب والأتراك علي مر القرون ..فقد أراد الأوروبيون توظيف ترجمة معاني القرآن للطعن في الإسلام ، حيث ظهرت أول ترجمة سنة ١١٤٣م بقلم روبرت الكيتوني- إنجليزي كان يعيش في أسبانيا - بتكليف من رئيس دير مدينة كلوني "بطرس المبجل" وقد استغلت ترجمة الكيتوني لمعاني القرآن إلي اللغة اللاتينية للطعن في الإسلام لسنوات طويلة [١١].. أما مارتن لوثر مؤسس الكنيسة

البروتستانتية الإصلاحية ، فقد تدخل لإلغاء قرار أصدرته بلدية مدينة بازل بسويسرا بحظر نشر ترجمة معاني القرآن ، وكان السبب في ذلك كما أعلن مارتن لوثر نفسه عندما قال :" لقد استيقنت بأنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجاً لمحمد ﷺ وللأتراك ولا أشد ضرراً لهم جميعاً من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين ، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيض وفظيع هذه القرآن المليء بالأكاذيب والخرافات.

ولم يكتفِ مارتن لوثر بذلك ولكنه وصف النبي ﷺ بأنه "خادم العاهرات وصائد المومسات" ، وكان يقول : "أرى أن القساوسة عليهم أن يخطبوا الآن أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداء له ، ويقوى إيمانهم بالمسيحية ولتتضاعف إثارتهم في الحرب ويضحوا بأموالهم وأنفسهم ".. ويؤكد "هوبرت هيركومر" أن المتعصبين المسيحيين كانوا يتهمون الإسلام بالزندقة ، وكان ذلك سهلاً عليهم ، ويشيرون إلى آيتين في سورة النساء هما الآيتان رقم ١٧١، ١٧٢ من سورة النساء الرافضتين لعقيدة التثليث، وقد اعتبر المسيحيون في العصور الوسطي أن من ادَّعى المسلمون أنه نبي ، كان رجلاً عاش حياة داعرة ، بل إن بعض الأوروبيين أدَّعوا أن رسول الإسلام ﷺ كان في الأصل كاردينالاً كاثوليكياً تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة ، واعتبرت أوروبا في ذلك الوقت أن محمداً ﷺ المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمل الوزر الأكبر عن انفصال نصف البشرية عن المسيحية..

وكانت صورة الإسلام والمسلمين أشد قتامة خلال الحملات الصليبية ، حيث كان الاتجاه السائد هو احتقار كل ما هو عربي وإسلامي ، وقد لعب رجال الدين دوراً مُهمّاً في ذلك ، فقد انطلقت الحملة الصليبية الأولي علي يد البابا "أوروبانوس الثاني" في مؤتمر كليرمون الكنائس عام١٠٩٥م ، فانطلق "جنود المسيح " يهتفون هذه مشيئة الرب " في حملات صليبية قتالية لتحرير بيت المقدس .. وكان الصليبيون يعدُّون المسلمين كفاراً ويقولون عنهم إنهم " جنس

حيواني حقير" وكلاب وخنازير".. وبعد انتهاء الحروب الصليبية –خاصة في القرن الثالث عشر– . حدثت تغيرات جزئية في النظرة إلي الإسلام في أوروبا ، فقد عرف الأوروبيون أن المسلمين لا يعبدون الأصنام ، واكتشفوا كذب القصة التي لقيت رواجاً في الفترة السابقة ، وملخصها أن المسلمين قتلوا رئيس الأساقفة ، "تيمو السالزبورجي" لأنه حطَّم الأصنام التي يعبدها المسلمون، وإن كان الطعن في الإسلام قد أصبح أقل حدة في هذه الفترة ولكن بقي الطعن في الرسول ﷺ ، ورغم أن بعض الزعماء الدينيين والمصلحين قد نظروا للإسلام نظرة موضوعية إلي حد ما في هذه الفترة إلا أنهم واصلوا طعنهم في الرسول ذاته ، والمثال علي ذلك "أرنولد الليوبيكي" الذي وصف إيمان المسلمين وصفاً موضوعيّاً واحترامهم للمسيح ، ولكن أساء إلي الرسول ﷺ ، وأسماء "ماوميت" واعتبر أن محاربة الصليبيين للمسلمين "واجباً دينيّاً" ، لأن المسلمين ، كما ذكر ، هم "كتيبة الشيطان" .

ويقول القديس "توماس الإكويني" في كتابه "الشامل في الرد علي الكفرة" والذى خصصه للدفاع عن المسيحية والطعن في الإسلام ، بأن "ماوميت" ويقصد به الرسول ﷺ قد أغوي الشعوب بوعوده لها بالمتع الشهوانية ، وبالتالي لم يجد الشهوانيون أي صعوبة في اتباعه ، وأنه لم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر .

وعن أهم الأفكار التي شُوِّهت صورة الإسلام من خلالها في الماضي يقول المستشرق الألماني "جيرنوت روتر" في دراسته "الإسلام والغرب الجاران المتخاصمان" ، إنه بجانب فكرة عدوانية الإسلام ، تحتل مكانة المرأة المسلمة في المجتمع المسلم الصدارة في صورة الإسلام كعدو ، وهي فكرة نمطية ثابتة تعود جذورها إلى القرون الوسطي ، حيث إن وعد القرآن للمؤمنين بالحور العين في الجنة ، وإعطاء الحق للمسلم في الزواج بأربعة نساء في الدنيا ، قد ساعد علي تثبيت صورة الإسلام علي أنه "الوليد الشهواني للشيطان" ومحمد ﷺ علي أنه

"وحش جنسي" كما ذكر "إيمبريخو" رئيس كاتدرائية مدينة ماينتس في ألمانيا نهاية القرن الحادي عشر الميلادي .. وقال: "إن المسلمين يحتفلون بجميع أشكال الزواج التي تحرمها الشريعة الإلهية ، ولأنهم جرَّدوا المرأة المسلمة من حقوقها الطبيعية ، فإنها تسعي إلي ممارسة السحاق مع نظيراتها ويمارس الرجل اللواط مع مثيله ، والأخ يقيم علاقة آثمة مع أخته ، والأبناء يهتكون عرض أمهاتهم ، والأب يغتصب ابنته ، والشريعة الجديدة ، أي الإسلام تحل له كل ذلك!!"[١٣]

ويُعرّف الأب "لويس موريري" الرسول ﷺ في مؤلفه (القاموس التاريخى الكبير) عام١٦٧٤م حيث يقول :" محمد بني مزيف " عربي الموطن ... إلي أن يصل في تعريفه للإسلام بأنه مُكوّن من اليهودية وجزءًا آخر من أحلام هرطقية واستسهالات جنسية لطبيعة منحرفة .. وقد قامت جماعة من اللصوص الذين لا يعرفون الله ولا الدين باعتناق هذه الديانة.[١٤]

ثالثاً : كتابات الأدباء والسير الشعبية

تُعد "ملحمة رولاند" الفرنسية– ظهرت عام١١٠٠م تقريباً – من أكثر الأعمال الأدبية تشويهاً لصورة الإسلام والمسلمين في القرون الوسطي ، حيث روَّجت لفكرة اتهام المسلمين بعبادة الأصنام ، حيث جاء فيها أن المسلمين يعبدون ثلاثة أصنام هي : ماجوميت . المقصود الرسول ﷺ وأبولو وتيرفاجانت ، أي أن المسلمين لديهم الثالوث كما روَّجت الملحمة لتهمة أخري ، كانت رائجة في أوروبا في القرون الوسطي ، وهي أن المسلمين يعبدون الله ويعبدون معه "فينوس" إله الحب عند الرومان ، وكان الدليل عندهم تعظيم المسلمين ليوم الجمعة ، حيث كان يوم الجمعة في القرون الوسطي هو يوم "فينوس"[١٥].. ومازالت الترجمة الألمانية للملحمة متواجدة حتي الآن من خلال كتاب بعنوان "كارل الأعظم " يرجع تاريخ نشره الي أوائل القرن١٣.

يقول المستشرق الألماني "جيرنوت روتر " في دراسته السابقة ، إنه إذا كان الأوروبيون قد استمتعوا في العصور الوسطي بتصوير محمد ﷺ في (السير الشعبية) على أنه وحش شيطاني مُخِيف ، وبالروايات التي تصف المسلمين وهم يقطعون أطراف الصليبيين وهم أحياء وينزعون أحشاءهم من أجسامهم .. فقد احتل مكانها اليوم كتب مثل :"سيف الله" "سيف الإسلام" ، و"السيف الأخضر" .. الخ .. وقد وصف الشاعر الألماني الشهير جوته (١٧٤٩- ١٨٣٢) الرسول ﷺ بأنه نصب حول العرب غلافاً دينيّاً كئيباً ، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي .. أما الكاتب الشعبي الألماني كارل ماي (١٨٤٢- ١٩١٢) فقد امتلأت أعماله التي انتشرت علي نطاق واسع في أوروبا بالتعبير عن إحساس الغربيين بالتفوق ، إلى جانب تثبيت صورة ذهنية سلبية عن المسلمين في عقول عدة أجيال من الناطقين بالألمانية ، حيث صور المسلمين بأنهم أشخاص محتالون متجهّمون ، يتميزون بالوحشية ، ولكن ينتصر عليهم "المجاهد في سبيل المسيح" والذي يطلق عليه اسم "كارا بن نيمس" ، كما صور كارل ماي شخصية المسلم –الحاج عمر خلف – في رواياته ، بأنها شخصية تتصف بالغباء والتخلف ويسهل خداعها [١٦].

كما وصف الأديب الشهير "ديدروت" الرسول ﷺ بأنه "أكبر عدو للعقل السليم".. أما الأديب الفرنسي بييربل فقد كتب عام ١٦٩٧م في (القاموس التاريخي والنقدي) عن النبي ﷺ قائلاً : "إن الملاك جبريل قد علَّمه وصفة " الطبيخ" ، التي تمنحه القوة الفائقة للاستمتاع بالنساء ، وعندما أكل منها أول مرة كان من القوة بحيث هزم أربعين رجلاً وضاجع أربعين أمرأة دون أن يتعب !![١٧]

رابعاً : الدراسات الاستشراقية :

والمقصود بها الدراسات التقليدية القديمة .. والاستشراق مصطلح عام يطلق عادة على اتجاه فكري يهتم بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة

ودراسة الإسلام وحضارته وتاريخه بصفة خاصة .. والمستشرق ، بالمعني العام ، هو كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق في كل ما يتعلق به، ومن هنا يتضح أن الاستشراق وضع الأمة الإسلامية بكل أركانها وعناصرها ومختلف نتائجها تحت المنظار الدقيق ، الذي يرصد كل شيء مهما كان بسيطاً في نظر المسلمين ، وهم بذلك يستجمعون كل الأطر لتكون ضربتهم قاصمة لها دوى كبير لا يمكن تجاوز آثارها إلا بعد سنوات من التصفية والتنقية.(١٨)

والمستشرقون ثلاثة أنواع :

الأول : منصف معجب بالإسلام ، والثاني : محايد حمله علي دراسة الإسلام حب الاستطلاع والولوع بالمعرفة آيّاً كان مصدرها ، أما النوع الثالث: نوع حاقد متعسف للغاية لا يكف عن الطعن والتشكيك في الإسلام ، وقد أفرز هذا الفريق أكثر من ستين ألف مجلد كلها سموم وأحقاد ، وهذا النوع هو الذي سوف نشير إليه وإلى دوره في صنع العداء للإسلام: ومن أهم هؤلاء المستشرقين إيجانس جولد تسهير(١٨٥٠- ١٩٢١) الذي حاول بكل قوة أن يثبت عدم مجيء النبي ﷺ بجديد ، وأنه أخذ كل شيء من اليهود والنصاري ، وباول كراوس (١٩٠٤- ١٩٤٤) الذي قام بنشر كتب الملاحدة والزنادقة التي تطعن في الإسلام وعقيدته ، وجوزيف فان إس ، والذي يصفه الباحثون بأنه أشد عداءً للإسلام من سلمان رشدى صاحب رواية "آيات شيطانية" وكذلك المستشرق الهولندي "جاك فار دينبورج" ،إلي جانب "جوستاف جرونبام " وغيرهم الكثير.

والمثير للدهشة أن المستشرقين حينما يتعرضون للأدب العربي وتراثه يتحدثون عنه بموضوعيه واحترام , ولكن عندما يتحدثون عن الإسلام تمتلئ كتاباتهم بالطعن في العقيدة الإسلامية ، والدليل علي ذلك كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" والذي يتناول التراث الأدبي العلمي للعرب والمسلمين بتقدير واضح، ولكنه في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية " يطعن في الإسلام ويسخر منه خاصة عند الحديث عن ظهور الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وكذلك المستشرق

مونتجمري وات ، الذي يمجد الإسلام في كتاب "فضل الإسلام علي الحضارة الغربية " بينما يمتلئ كتابه "الإسلام" بالطعن والتشكيل في الإسلام وعقيدته [١٩].

دوافع الاستشراق :

١- الدافع الديني:

حيث فكرت البابوية في روما منذ عصر النهضة في مواجهة المد السريع للإسلام فدفعت بالرهبان والقساوسة لدراسة الإسلام وعلومه الي جانب اللغة العربية ، بهدف إثارة الشبهات حول الإسلام والتشكيك فيه ، كوسيلة لتطويق الثقافة الإسلامية وفرض الثقافة الغربية ، إلي جانب منع انتشار الإسلام في أماكن أخري من أوروبا .

٢- خدمة أهداف الاستعمار :

حيث أسس الاستعمار حركة الإستشراق واستعان بالمستشرقين ، من أجل التعرف علي الأفكار ، ومن ثم الدعايات وإثارة الفتن وإشعال الخلافات في البلاد التي أرادوا استعمارها في العالم الإسلامي.

٣- خدمة مخططات اليهود :

وقد أشار إلي ذلك الأستاذ محمد البهي في كتاب "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار" بقوله :"إن هؤلاء أقبلوا علي الاستشراق لأسباب دينية وأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية وإقامة دولة "لليهود".

تأثير الاستشراق :

فالشبهات التي دسها المتشرقون حول الإسلام كان لها الأثر الخطير في رسم صورة للإسلام في أذهان الأوروبيين على أنه دين قتل وأنه انتشر بالسيف وأنه يعرف الطبقية ويقهر المرأة ويهضم حقوقها.[٢٠]

المبحث الثالث
واقع المسلمين المعاصر

أولاً : في العالم الإسلامي:

إن خوف العرب المسلمين التقليدي من الغرب كان بسبب النزعة الاستعمارية للغرب .. حيث يرى د."كاى هانز" الباحث – المتخصص في دراسة صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية – في معهد الشرق الألماني في هامبورج ، أن هذه النظرة التآمرية لدى العالم الإسلامي تجاه الغرب ، ترجع إلى خبرته في التحيز والنزعة الاستعمارية خلال أزمات وحروب القرن العشرين والذي سبقه، ويشمل ذلك النظرة الإسلامية لقيم الحضارة الغربية باعتبارها قيما مادية دنيوية، وأنها ذات تأثير سلبي علي الثقافة الإسلامية ، حيث يرى الباحث أن هذه النقطة تعد من أهم أسباب تدهور صورة الإسلام في أوروبا والغرب بصفة عامة خلال السنوات الأخيرة.(٢١)

تراجع مكانة العالم الإسلامي الحضارية

بدأ العالم الإسلامي يتراجع حضاريّاً منذ بدايات عصر النهضة الأوروبية ، بعد أن ساد العالم لعدة قرون ، في السلم والحرب ، ثم كان السقوط الأكبر بعد انهيار الخلافة العثمانية ، التي بسطت سلطانها علي أجزاء كبيرة من العالم لعدة قرون ، مما أدى لتمزق أوصال العالم الإسلامي ، الذي أصبح معظمة خاضعاً أو تابعاً لدول الغرب. أو في طريقه للخضوع والتبعية ، وهكذا انقلبت الموازين وتغيرت الأوضاع ، ومازال العالم الإسلامي مع خلال الألفية الميلادية الثالثة ، علي ما هو عليه من ضعف وتراجع حضاري ، وقد أصدر المستشرق الأمريكي "برنارد لويس" كتاباً مع بداية عام ٢٠٠٢م بعنوان "أين الخطأ ؟" يطرح فيه قضية المأزق الحضاري للعالم الإسلامي ، ثم يتساءل في نهاية الكتاب عن السبب في ذلك فيقول : لماذا حدث ما حدث وأين الخطأ ؟

ويرد برنارد لويس على هذا التساؤل فيقول : " إن المشاهد الغربي الذي تعلم ومارس الحرية ، يرى أن الخطأ يرجع الي نقص الحرية في التفكير والتعبير ، وفي حرية الفرد أن يستقصي ويتساءل ، تحرير الاقتصاد من الفساد وسوء الإدارة ، وتحرير النساء من قهر الرجال ، فمع دخول العالم الإسلامي للقرن الحادي والعشرين إلا أنه مازال يعاني من الفقر والجهل والضعف".(٢٢)

ويتطرق لويس في كتابه ، الذى نُشرت أهم أفكاره في مقالة بمجلة The Monthly Atlantic عدد يناير ٢٠٠٢م ، إلى البحث عن المسئول عن حالة الضعف والتراجع التي يعاني منها العالم الإسلامي .. ويتوصل إلى أن المسلمين أنفسهم هم المسئولون عن ذلك ، حكاماً وشعوباً ، وأن الاستعمار الذي تعرَّض له العالم الإسلامي خلال القرن العشرين ، هو نتيجة ، وليس سبباً ، للضعف الداخلي الذي يعتري العالم الإسلامي ويرى لويس أن هناك إجابتين عن السؤال الرئيسى "أين الخطأ" ، الأولى تنسب كل الشرور إلي التخلي عن الموروث الديني للإسلام وتبني الدعوة للعودة إلي الماضي .. والثانية تدين الماضي وتتبنى الديمقراطية العلمانية والتي تمثلها تجربة كمال إتاتورك.

إن الأزمات والمشاكل التي تنشأ في الشرق الأوسط نفسه وبعض المناطق الإسلامية الأخرى تعد من أهم أسباب تراجع مكانة العالم الإسلامي الحضارية ففي الصحف ومحطات التلفزيون ووكالات الأنباء تجد أن هناك تركيزاً واضحاً علي مثل هذه المناطق التي تكون أغلبيتها مسلمة.. وتحاول إظهار المسلم وكأنه يفتقر إلي المعرفة والتعليم والعلم ، وأنه جاهل بكل شيء خاصة عندما يبرز حاكم أو زعيم مستبد ، (مثل صدام حسين) ، في تلك الأماكن ، فتسلط وسائل إعلام الغرب عليه الضوء ، وتحاول أن تنسب كل خطوة يخطوها هذا الحاكم المستبد إلى الإسلام.(٢٣)

كذلك فإن فشل العالم الإسلامي في استخدام وسائل الاتصال الجماهيرية في رسم صورة ذهنية إيجابية للثقافة والحضارة الإسلامية يعد سبب آخر في تراجع صورة العالم الإسلامي حضاريّاً .. ومن الأمثلة في هذا السياق ما ذكره البروفيسور "أكبر أحمد" –عمل كمنتج تنفيذي في محطة B.B.C – من قيام ملك أسبانيا الحالي "خوان كارلوس" بتقديم الاعتذار لليهود عن محاكم التفتيش في أسبانيا في القرن الخامس عشر ، ولكنه لم يهتم بالاعتذار للمسلمين ، رغم أنهم قد أُضيروا أكثر من اليهود في هذه الأحداث المأساوية ، وذلك علي الرغم من أنه من الزعماء الذين يهتمون بإقامة جسور وروابط قوية مع الشعوب والحضارات ، ولكن المسلمين لم يقوموا بأية تحركات في هذا الصدد ، ومازالوا يكتفون بالبكاء علي ضياع الأندلس في الأدب الشعبي دون ترجمة ذلك إلي تحركات دبلوماسية وسياسية باستخدام الإعلام .

أم الخلافات والمشاكل والانقسامات السائدة في العالم العربي والإسلامي.. سواء علي مستوى الدول (كمشاكل الحدود) أو علي مستوى الأفراد والجماعات والهيئات فهي أهم أسباب تراجع صورة العالم الإسلامي حضاريّاً ، فهناك خلافات قائمة منذ فترة بعيد بين العلمانيين وأنصار الحل الإسلامي ، وخلافات بين الشيعة والسنة ، وخلافات بين الجماعات الدينية نفسها ، فهناك الطرق الصوفية والجمعيات الشرعية وأنصار السنة ..الخ ، إلي جانب الاختلاف في المدارس الفكرية والثقافية والأدبية .

وفي هذا الصدد قال جمال الدين الأفغاني منذ سنوات طويلة "إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ،حيث يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء، فرقت بينهم الأهواء والشهوات ، وقعدت بهم الصغائر وانصرفوا عن عظائم الأمور".

وهكذا أصبحت وسائل الإعلام في أوروبا تتحدث عن الإسلام التقليدي أي إسلام عامة الشعوب المسلمة ، والإسلام الرسمي ، الذي تقدمة المؤسسات الدينية

الرسمية ، والإسلام الأصولي ، نسبة لما أسمتهم بالجماعات الأصولية وهناك أيضاً الإسلام السياسي نسبة إلي الجماعات الإسلامية التي تقوم بالعمل السياسي ،أضف إلي ذلك ما يسمونه ،الإسلام الوهابي، حتى أصبح المستشرقون يقولون دائماً للمسلمين عن أي إسلام نتحدث ؟!

ثانياً : أوضاع المسلمين في المجتمعات الأوروبية :

١ـ الهجرة المتزايدة لمواطني الدول الإسلامية إلي أوروبا والولايات المتحدة:

يقول عنها "كاي هانز" أنها جاءت في ظروف اقتصادية صعبة ، حيث ارتفاع معدلات البطالة في كثير من الدول الأوروبية ، مما أسهم في إيقاظ الصورة العدائيه للإسلام ، وأعطاها بُعداً جديداً ، ففي ألمانيا علي سبيل المثال ، ومع ازدياد الهجرة المسلمة بداية من خمسينات القرن العشرين أصبحت صورة المسلمين سلبية ، ثم استقرت تلك الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين في الأذهان حتى اليوم.

راحت أصوات كثيرة تحذِّر عبر وسائل الإعلام المختلفة من مخاطر الهجرة المسلمة ، (لاحظ التركيز علي الهجرة المسلمة بصفة خاصة) وقد زاد هذا الاتجاه في وسائل الإعلام مع انتشار موجات العنف ضد الأجانب (جماعات النازية الجديدة) التي تدعو لطرد الأجانب من أوروبا.. فقد أشار تقرير للمعهد الملكي للشئون الدولية في لندن عام١٩٩٢م تحت عنوان "أوروبا والعرب".. شقاق أم وفاق " إلي أن الإسلام كان دائماً يثير قلق الأوروبيين ، لكنه اليوم أصبح جزءاً من واقع ثقافي يميز أفقر الأحياء في بعض مدن أوروبا الغربية[٢٤].

٢ـ بعض الحوادث بين أبناء المسلمين في أوروبا :

رصدت تقارير صحفية عديدة في السنوات الأخيرة ظواهر إجرامية منسوبة إلى بعض أبناء المسلمين ، خاصة في الأوساط الفقيرة وذات التعليم الأقل ، حيث أُتهم هؤلاء الصبية والشباب بترويج المخدرات والتعامل معها ، خاصة في

بريطانيا، وبالتالي تعكس التقارير الصحفية صورة سلبية عن المسلمين الشباب من خلال التركيز الدائم علي هذه الممارسات .

ويعكس المفكر الألماني البارز Jochen hippler في كتابه "الخطر القادم " جزءاً من هذه الأوضاع ، حيث يشير إلي وجود أعداد من المشردين والباحثين عن مأوى من المسلمين بقوله :"إن ما يجري أمام عيوننا من سياسات تجاه الباحثين عن مأوى والهاربين يُخيفني بأكثر مما تخفيني الأصولية الإسلامية ، إذ أن صورة القادم من الجنوب "العدو" تقوّى الانحياز ضد الإسلام وتولِّد العنصرية ضد المسلمين ، وتدعم بشدة مفهوم أن الخطر الذي يهدد أوروبا إنما يهدد إنسانيتها.[٢٥]

٣ـ الخلافات المذهبية بين الأقليات الإسلامية :

انتقلت مشاكل وسلبيات العالم الإسلامي إلي المجتمعات الإسلامية في الدول الأوروبية ، مما أدى إلي قيام العديد من الهيئات والمراكز الإسلامية ، والتي تكون أحياناً مرتبطة بسياسات واتجاهات الدول أو الجهات التي تموِّل هذه الهيئات والمراكز وبالتالي ظهرت بوادر الانقسام والفرقة بين أبناء الأقليات الإسلامية في أوروبا ، فكل هيئة أو منظمة تدعى أنها تمثل المسلمين وأصبح اختيار ممثل رسمي للمسلمين يتفقون عليه أمام السلطات في الدول الأوروبية ، مشكلة شائكة حتى اليوم.. إلي جانب ذلك هناك خلافات بين المسلمين في أوروبا حول التوجهات السياسية للدول التي ينحدرون منها ، مثل الانخراط في السياسة والأحزاب السياسية وطرق التعامل مع الحكومات الأوروبية فقد عكست صحيفة "الإندبندت" البريطانية أحد الانقسامات الشهيرة بين صفوف مسلمي بريطانيا ، وعالجت في تقرير لها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٩١م قضية إنشاء برلمان إسلامي ، كهيئة سياسية إسلامية ، علي يد المهندس "كليم صديقي" فأشارت إلي اتهام البعض لهذا البرلمان بأنه مجرد لعبة غربية ، والبعض الآخر يراه شكلاً من

أشكال التفرقة العنصرية ، وأن البعض من زعماء المسلمين يعترض علي أي فكرة تدعو للفصل بديلاً عن الإندماج في المجتمع الأوروبي.

٤- عدم الفهم المتبادل بين الأقليات الإسلامية والمجتمع الأوروبي

ولقد أدى عدم الفهم المتبادل بين الأقليات الإسلامية إلى تشويه صورة الأقليات المسلمة في وسائل الإعلام المختلفة .. فقد صدرت في ألمانيا دراسة إعلامية مهمة في شهر يناير١٩٩٦م حول دور التليفزيون في أوروبا بالنسبة للجاليات الأجنبية وعلي رأسهم المسلمون .. فقد خلصت الدراسة (بالتطبيق علي التلفزيون في ألمانيا) إلي أن التلفزيون عمد إلي تقديم صورة سلبية للأجانب بدلا من تقديم صورة موضوعية وواقعية ، ويرجع ذلك إلي قلة الإهتمام الإعلامي بقضايا المسلمين ومشاكلهم ، علي وجه الخصوص ، مما أدي إلي قيام مشاكل مزدوجة تتعلق بجهل الأوروبيين بمشاكل الأقليات التي تعيش في أوروبا من جهة وعدم معرفة الأقليات بواقع الحياة الأوروبية ، بشكل يزيد الهوة ويضاعف موجة العداء للأجانب .. وأكدت الدراسة أن المعطيات السابقة قد زادت من العزلة التي يعيشها المسلمون ومن شعورهم بعدم الثقة في الإعلام الأوروبي الذي إلى جانب قلة الاهتمام يشوّه الصورة الذهنية عنهم ، مما دفع بعض الشركات التجارية في ألمانيا لإنشاء محطات تلفزيونية خاصة باللغة التركية بهدف الربح المادي في حين دعت الدراسة إلي ضرورة تقديم برامج تلفزيونية تناقش مشاكل دمج الجيل الثاني والثالث في المجتمع الألماني مع الحفاظ علي الهوية الدينية والثقافية .

أحداث تتعلق بالرأي والتعبير :

هناك بعض الأحداث التي ساهمت في تكوين صورة سلبية عن العرب والمسلمين في الإعلام الأوروبي مثل:

١ - **كتاب " آيات شيطانية "** للكاتب البريطاني الجنسية الهندي الأصل "سلمان رشدي" ، وما صاحب ذلك من ضجة ثقافية وإعلامية بسبب وردود

الأفعال القاضية في العالم العربي الإسلامي مثل المظاهرات والاحتجاجات ، إلي جانب إصدار زعيم الثورة الإيرانية " آية الله الخوميني " لفتوى تبيح إهدار دم سلمان رشدي ، ثم وقوف كثير من الهيئات والجهات في أوروبا بجانب سلمان رشدي ، خاصة بريطانيا التي وفرت الحماية اللازمة للكاتب ، بوصفه مضطهد من "الأصولية الإسلامية" وكأحد ضحايا حرية الرأي والتعبير،وسرعان ما صارت الجلبة حول كتاب "آيات شيطانية " حدثاً دوليّاً .. ومن الملاحظ أن الكثير من المعلقين والخبراء في أوروبا قد تجاهل اختلاف ردود أفعال العرب والمسلمين تجاه الكاتب نفسه ، خاصة أن الأزهر قد عارض فتوى الاغتيال ، وطالب باستتابة الكاتب أولاً .. ولكن وسائل الإعلام استناداً لآراء المعلقين تجاهلت أيضاً الآراء الإسلامية المتزنة والعاقلة في معالجة الأزمة وكان التركيز علي فتوى الخومينى والسخط الشعبي في العالم الإسلامي ، كما ركزت وسائل الإعلام علي منع الكتاب في الدول الإسلامية ودعاوى مقاطعة ناشريه.

ورغم أن قضية "سلمان رشدي" قد أُثيرت في ظل دعوات صدرت فى نفس الفترة من الأوساط الأكاديمية في أوروبا وأمريكا لوضع الحدود لحرية الكلمة وإدانة الأدب المكشوف والصور الفاضحة وكذلك إدانة "كلام الكراهية " مثل دعاوى العنصرية والتعصب ، ولكن الإعلام الأوروبي في غالبيته دافع عن الكتاب والكاتب بدعوى حرية التعبير ، مما أدى إلي صدم مشاعر المسلمين ، وبالتالي إعلان معاداة الإعلام الغربي للمسلمين .. فالكتاب وردت فيه فقرات تتساءل عن حقيقة القرآن وتسخر من الرسول ﷺ بطريقة سافرة من خلال الأحداث الدرامية المصاحبة للكتاب ، إلي جانب المظاهرات التي اندلعت في بداية عام ٢٠٠٦م في معظم الدول الإسلامية بسبب أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ في إحدى الصحف الدنماركية ، يولاندز بوست ، والعنف الذي تخلل بعض هذه المظاهرات ، فقد أدَّت مثل هذه الأحداث، إلي أن أصبح المسلمون في جميع أنحاء العالم موصومين بأنهم أبناء "ثقافة الجريمة" وفقاً لوصف وسائل الإعلام الغربية ،

وبالتالي أصبح الإسلام في نظر الكثير من الأوروبيين مصدراً للإزعاج والفوضى والاضطرابات في العالم.

٢- بعض الممارسات غير المسئولة في العالم العربي والإسلامي

سواء أكانت من الأفراد أم الهيئات أم بعض الحكومات ، حيث تستغلها وسائل الإعلام الأوروبية وتقوم بتهويلها وتضخيمها ، ثم وصف الإسلام والمسلمين بالأوصاف التي ترتبط بالشخص الذي قام بالحدث ، وتقديم هذا الشخص علي أنه ممثل الإسلام والمسلمين[٢٦] .. مثل هدم "طالبان" لتماثيل بوذا في أفغانستان، والدعاوي القضائية ضد بعض المفكرين والكتاب للتفريق بينهم وبين أزواجهم أو زوجاتهم ، مثل نصر أبو زيد ، نوال السعداوي .. وكذلك أحداث الفتنة الطائفية المصطنعة في الصعيد ، والفتاوى المتشددة التي أصدرتها حركة طالبان بحق المرأة أو الفن ، أو حتي فتاوي علماء السعودية حول تحريم قيادة المرأة للسيارات ، أو المظاهرات والدعوات التي تطالب بمنع كتب تسيء للإسلام ،مثل رواية أعشاب البحر ، أولاد حارتنا ، رواية تسليمة نسرين .. وهناك عشرات الأمثلة علي ذلك يصعب حصرها ..

ولكن هناك بعض المعالجات الإعلامية في الصحف الأوروبية تحاملت علي الإسلام والمسلمين دون وجه حق تحت مسمي حرية الرأي والتعبير ، مثل هجوم "مارك هوبند" الكاتب بصحيفة "الفاينشال تايمز" البريطانية علي مصر لمنعها تدريس كتاب لـ Maxime Bondison في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لأنه يتعرض بالإساءة البالغة للرسول ﷺ بعد أن أثار صلاح منتصر الكاتب بجريدة الأهرام هذا الموضوع في صحيفته ، مما دعا وزير التعليم العالي إلي حظر تدريس الكتاب .. ويرى الكاتب في مقاله ، الذي نشر بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٨٨م أن الحكومة المصرية قد استجابت للضغوط والتهديدات التي تعرضت لها من قبل المنظمات الإسلامية.

* * *

المبحث الرابع
الإسلام كعدو وظاهرة "إسلام فوبيا"

ظهرت في السنوات الأخيرة (ظاهرة خطيرة) في الإعلام الأوروبي ، والغربي بصفة عامة ، وهى ما يطلق عليها نزعة الخوف المرضي من الإسلام Islam phobia حيث أصبحت وسائل الإعلام تنظر إلي المسلمين بعين الشك والريبة وأصبح الإسلام مرادفاً للتطرف والإرهاب .. مما أدى إلي تحوُّل العداء الأوروبي التاريخي لليهود إلي عداء حديث للمسلمين ، فقد أصبح الإسلام حالياً هو "العدو" والمسلمون هم الخطر الجديد الذي حل محل الشيوعية في تهديد الأسس الأخلاقية التي تقم عليها المجتمعات الأوروبية . (٢٧)

بعض الدراسات الإحصائية الحديثة أشارت إلي أن ٤٢ % من الشعب الفرنسي يعتبر الإسلام خطراً علي الهوية الوطنية الفرنسية ، رغم أن نسبة المسلمين في فرنسا تصل إلى حولي ١٠ % وهي أكبر نسبة للمسلمين في الدول الأوروبية الغربية ، كما أشارت الدراسات إلى أن ثلثي الفرنسيين والألمان يرون أن محاولة اندماج المسلمين سواء في المجتمع الفرنسي أو الألماني هي محاولة فاشلة !! (٢٨) وبالتالي فإنه لدى وقوع أي عمل إرهابي يقوم به مسلم متطرف ، أيا كانت الجهة التى ينتمى إليها ، فإن تهمة الإرهاب توجه إلى كل هذا المجتمع وبالتالي إلى الإسلام.(٢٩)

وبناءً علي ما تقدم سنحاول في السطور القادمة تفسير وتحليل هذه الظاهرة ، أملاً في الوصول إلى الدوافع والأسباب وراء هذه الظاهرة مع التركيز علي المعالجات الإعلامية.

أولاً : الجذور التاريخية للظاهرة:

يرى بعض المتخصصين في علوم الإعلام أن "الإسلام" في الغرب "صحافة سيئة" وذلك منذ ألف وأربعمائة عام !! وأن المجتمع الإعلامي المعاصر ما زال

علي صلة بهذا التقليد ، بل يعيد باستمرار إحياء التصورات القديمة عن العداء بين الشرق والغرب ، كما أن أغلبية التقارير الخبرية لوسائل الإعلام في الغرب تجسد نوعاً من "فوبيا الإسلام" الذي مازال ينظر اليه بشكل سلبي منذ قرون(٣٠).

مرت ظاهرة الخوف من الإسلام بثلاثة مراحل في أوروبا والعالم الغربي:

١- أثناء العصور الوسطي ، حيث سادت مقولة إن الإسلام دين عنف انتشر بالسيف ، وبدأ الهجوم علي الإسلام كبيراً في هذه الفترة بفضل التوجهات والحروب الصليبية ،والنظر للمسلمين في الأندلس علي أنهم غزاة .

٢- في عصر النهضة خلال القرنين ١٥، ١٦ في أوروبا ، حيث خفَّت حدة النظرة السلبية للإسلام والسملمين ، ولكن لم تختف نهائيّاً رغم دور العالم الإسلامي في نقل الحضارة والتقدم إلي الدول الأوروبية.

٣- في القرن ١٨ والقرن ١٩، بدأ الغرب يعرف طريقه نحو الاستشراق لمعرفة أسرار الشرق المسلم ، وصاحب ذلك النزعة الاستعمارية والتوسعية للغرب ، فأصبح ينظر إلي الغرب علي أنه عالم الاستعمار ونهب الثروات وتهديد الهوية ، وبالمقابل كانت النظرة الغربية للعالم الإسلامي أنه عالم النساء والثروات الملئ بالجهل والخرافات والأخلاق الوضيعة ، وظلَّت هذه التصورات دفينة في الوجدان الشعبي للشعوب الأوروبية حتي الآن(٣١).

ثانياً : تحليل الظاهرة من وجهة النظر الأوروبية :

أ- الجانب النفسي :

يقول المؤرخ المعروف توينبي أن الغرب يبحث عن عدو لكي يشبع النفسية الأوروبية القائمة علي (التحدي) ، وهذه النظرية التي بنى عليها الغرب فلسفته،

تفسر لنا الحرب الباردة التي امتدت عقوداً من الزمان ، وهي الوسيلة التي استخدمها صانعو القرار في القضايا الساخنة مثل : حرب الخليج ، والبوسنة، والعراق ،وأفغانستان ،والحرب علي الإرهاب (المقصود الإسلام طبعاً) ولم يجد الغرب بعد سقوط الشيوعية حالة التحدي الدائمة إلا في الإسلام ، العدو البديل ، فاستغل ما يسمي بالأصولية الإسلامية مستخدماً الآلة الإعلامية الجهنمية ، فصوَّب سهامه إليها علي أنها الخطر الداهم وربطها بالقتل وسفك الدماء .. وبالتالي نجد أن العديد من التقارير الإعلامية في معظم وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية تقوم علي أساس تقديم نظرة "انتقائية" للأحداث والتطورات السلبية في العالم الإسلامي ، وفق مفهوم "تصور العدو" الذي أضحى جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، وبناءً عليه مازالت الصور النمطية والكلاشيهات ، القديمة عن الإسلام مستمرة في وسائل الإعلام الغربية.[٣٢]

ب- **الجانب الفكري** :

١- يتفق عدد كبير من العلماء والمفكرين والأكاديميين في الغرب ، علي أنه بعد انتهاء الحرب الباردة ، فإن الصراع أصبح حضاريّاً ، وليس سياسيّاً أو عسكريّاً أو اقتصاديّاً ، وأن الصراعات الكبرى في العالم ستدور بين أمم وشعوب تنتمي إلى حضارات مختلفة ، وستكون الخطوط الفاصلة بين الحضارات هي نفسها خطوط القتال في المستقبل.[٣٣]

٢- ويرشح أحد هؤلاء المفكرين "صامويل هانتنجتون" الحضارة كمركز للصراع مع الغرب في المستقبل القريب ، باعتبار أن الوعي بالانتماء الحضاري يبدو أوضح ما يكون الآن في البلدان الإسلامية التي تتمسك شعوبها بثقافاتها الموروثة ، وهناك حضارات أخرى مرشحة للدخول في صراع مع الغرب وهي : الكونفوشية واليابانية والهندية واللاتينية .. ويرى هانتنجتون أن حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) هي الحلقة الأولي في سلسلة الحروب الثقافية ضد الحضارة الإسلامية ، حيث تحقق فيها ما يسمي بالاصطفاف الحضاري الجزئي ، أي اتخاذ كل حضارة الطرف الذي يمثلها.[٣٤]

٣- يرى بعض المفكرين تزايد الشعور بالعداء ، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، حيث كان لأزمة البترول في بداية السبعينات انطباع خاطئ بأن العالم العربي يستطيع التحكم في المستقبل الاقتصادي للدول المتقدمة بالإضافة إلي غزو العراق للكويت ، الذي عزَّز الصورة الشائعة ، التي تري أن العالم العربي يخوِّن الغرب إلى جانب تزايد الخوف من الحركات الإسلامية بعد أحداث الجزائر ١٩٩٢م ، حيث يري بعض الخبراء السياسيين أن التيار الإسلامي يمكن أن يقوم بزعزعة الاستقرار في الدول العربية والغربية إذا ما وصل للحكم لعدائه للقيم الغربية .. كما يتساءل الخبراء الاستراتيجيون عن الخطر الذي سيمثله العالم الإسلامي إذا أصبحت لديه أسلحة نووية علي أمن أوروبا خلال القرن الحادي والعشرين.

٤- يري المفكر الفرنسي المعروف جاك بيرك أن أسباب تشويه صورة الإسلام نتيجة للخوف من الإسلام ترجع إلى :

١- أن العرب والمسلمين.. هم الأكثر قرباً من الغرب من حيث الجوار الجغرافي ، فالعلاقة بين "الإسلام والغرب " هي الجوار والعداوة أيضاً .. كما أن هناك صلات ثقافية وعلمية متبادلة بين الغرب والإسلام منذ عصر الأندلس.

٢- العالم الإسلامي هو العقبة أمام السيطرة الغربية علي العالم .. فالغرب لا يخفي خوفه الدائم من الإسلام ، لأن المجتمعات الإسلامية هي العقبة الكبيرة في طريق أية محاولة غربية للسيطرة علي العالم .. ويختم بيرك حديثه لجريدة الأهرام يوم ٢٢ إبريل ١٩٩٣م .. بقوله "إن ما يدعو للدهشة أيضاً هو أن الولايات المتحدة تدين التطرف الذي تحاول وسائل الإعلام إلصاقه بالإسلام وتأوي في ذات الوقت المتطرفين في أراضيها ، وتقدم لهم المساعدات في كل مكان.

٣- أما الدكتور "إدوارد سعيد" وهو مفكر أمريكي من أصل فلسطيني فقد كتب عام ١٩٨١م دراسة نشرها في الولايات المتحدة ، قال فيها : "الإسلام بالنسبة للعامة في أوروبا وأمريكا أخبار غير سارة .. ذلك أن وسائل الإعلام والحكومة

والخبراء المتخصصين في الإسلام ، علي الرغم من أنهم هامشيون في الثقافة ككل ، جميعاً يعزفون لحناً واحداً ، (الإسلام خطر علي حضارتنا) .. وما أقوله هو أن الصور السلبية للإسلام سائدة بكثرة شديدة تفوق أية صور أخرى ، وأن مثل هذه الصور لا تتعلق بحقيقة "الإسلام".. ولكنها تتعلق بما تظن قطاعات بارزة في مجتمع بعينه أنه الإسلام " الإسلام والغرب " وهل هو صدام بين الحضارات ؟ هذه القطاعات لديها القوة والإرادة لكي تروِّج للصورة السلبية للإسلام ، ومن ثم تصير هذه الصورة أكثر انتشاراً وأكثر حضوراً من أية صور أخرى".. فالسبب يرجع كما يرى إدوارد سعيد ، إلي المفكرين والخبراء الاستراتيجيين إلي جانب وسائل الإعلام ، من خلال الترويج لتصرفات وأفكار يعتقدون أنها هي الإسلام.

٤- يقول الباحث الأسباني "ماريانو أجيري" مدير معهد الدراسات في مركز أبحاث السلام بمدريد : هناك تساؤل في الغرب وأوروبا عن العدو الذي يحل محل الشيوعية بالنسبة للغرب وكان الجواب هو إجماع المتخصصين في العلوم السياسية والإستراتيجية علي أن التيار الإسلامي هو العدو الواضح في نهاية القرن العشرين وفي سبيل التصدي لهذا العدو ، قام مفكرون محافظون بصياغة نظرية صراع الحضارات ، بينما يقوم العسكريون بوضع استراتيجية عسكرية جديدة لإبادة هذا العدو وأضاف أجيري : " إن هذه الأفكار المتناثرة لتفسير الفوضى الكبيرة في الجنوب واعتبار الغرب غير مسئول عنها ، قد وجدت من صاغها في نظرية في صيف ١٩٩٣م ، وهو الباحث الأمريكي المعروف "صامويل هانتنجتون" الذى نشر مقالاً شهيراً في مجلة "فورن أفيرز" بعنوان "صراع الحضارات " قبل أن يحولها إلي كتاب يحمل نفس الاسم ، ويختتم الباحث الأسباني حديثة ، بعد انتقاد نظرية "صراع الحضارات".. قائلاً : ألم يكن جديراً بأوروبا أن ترفض هذه الرؤية القائمة علي العداء للأجانب وتبسيط الأمور مثلما هو واضح في نظرية هانتنجتون ، وأن تدعو إلي "حوار بين الثقافات " كنموذج سياسي في نهاية القرن العشرين.[٣٥]

ج ـ الجانب الثقافي :

يتمثل الجانب الثقافي في رؤية الإسلام "كعدو" في وجهة نظر أوروبا والغرب حينما يحاول الأوروبي مواجهة الأجنبي ، فإنه لا يواجه كل أجنبي ، إنما يواجه من يري أنه يحاول أن يستقل ويتميز عنه هوية ووجوداً ، وهذا ما حدث للمسلمين في أوروبا الذين فكَّروا في أن تكون لهم كيانات ومؤسسات خاصة بهم ، داخل مجتمعات لا ترغب في وجودها ، وهناك مهاجرون من جنوب شرق آسيا ومهاجرون ينتمون لديانات أخرى ، لا يتم التعامل معهم بنفس الحساسيات تجاه المسلمين.(٣٦)

يرى باتريك بالزمان ، وهو دبلوماسي سابق ومحلل بوزارة الخارجية البريطانية في كتابه (الإسلام في موضع الخطر) أن الكيفية التي يفكر بها غير المسلمين في الإسلام تتحكم في الكيفية التي يفكر المسلم بها في غير المسلم وكيفية تعامله معه .. فمجرد عملية التدين والعودة إلي جذور الإسلام الصحيح تمثل تهديداً ثقافيّاً ذاتيّاً للمواطن الأوروبي كما تري التغطيات الإعلامية .. مثلما نشرت صحيفة "دير شبيجل" الألمانية عقب انهيار وتفكك يوغوسلافيا السابقة"سرعان ما سيكون في أوروبا دولة ثيوقراطية متعصبة جاثمة علي أعتابها" وتلقي القراء تحذيراً من المجلة بأن" في الشرق الأوسط علي وجه الخصوص ، وهو المركز الثقافي ومهد الإسلام ، يشكل الملتحون باطراد صورة مقاتل تتصف ملامحه بالجهاد والتضحية ، بالدم والتعصب والعنف وعدم التسامح وقهر المرأة ".. أما في فرنسا فإن النظرة الأساسية للمسلمين تتحدد باعتبارهم قوماً معادين للتقدم ومن أهل العنف ، ويمكن "شرح ذلك من خلال أصول دينهم " فإنه دين يدعو للحرب متعطش للغزو ملئ باحتقار غير المؤمنين".. وقضية الحجاب تمثل الفجوة المتزايدة في الاتساع بين المجتمع الفرنسي والأقلية المسلمة .

وفي أحد الاستبيانات نجد ثلاثة من بين كل أربعة فرنسيين تم سؤالهم يظنون أن كلمة متعصب تنطبق تماماً علي الإسلام .(٣٧)

كما عبَّرت الكتابات الأوروبية عن ذلك الخوف من الإسلام (من الجانب الثقافي) ومن منظور اختلاف المفاهيم والهوية الثقافية وتشير دراسة صادرة عن مركز فرنسا للعلاقات الدولية عام ١٩٩١م إلي أنه غالباً ما تعبر مخاوف الأوروبيين الغربيين عن نفسها في مصطلحات دينية وثقافية واقتصادية وسياسية أحياناً ، وبينما حدث في الماضي استيعاب مهاجرين آخرين ، فإن الكثيرين اليوم يشككون في إمكانية أو الرغبة في استيعاب المهاجرين الجدد لاسيما المسلمين الذين هم أجانب من الناحية الوطنية ومن الناحية الدينية والثقافية أيضاً لقد كان المهاجرون الذين وفدوا إلينا من قبل أوربيين ، أما هؤلاء فلا .. فالبنات اللاتي تصررن علي ارتداء الحجاب في مدارسنا لسن فرنسيات ولا يرغبن في أن يكن كذلك ... لقد كان الماضي الأوروبي أبيض يهودي – مسيحي .. أما المستقبل فليس كذلك .

ويبدو المسلمون في أوروبا أولاً .. مختلفين عن غيرهم من المهاجرين أو االمواطنين الذين يشتركون في ثقافة يهودية مسيحية مشتركة ، (أيّاً كانت اختلافاتهم العرقية) .. والمسلمون فى الوقت الحالى يجدون أنفسهم في سياقات ثقافية غربية يُعتبرون فيها هم "الآخر" بمعني الكلمة ، ومن ثَمَّ فإنهم يشكلون تهديداً .. وغالباً ما تكون التقسيمات التي تضع الإسلام في مواجهة الغرب قد فرضتها رؤية فكرية ودينية تميّز تراثاً يهوديّاً مسيحيّاً عن ديانات العالم "الأخرى" وتضعه في مواجهتها .. والإسلام على الرغم من تراثه التوحيدى ، قد تم وضعه ضمن مجموعة من "الديانات الأجنبية" مثل البوذية والهندوسية .. ويشمل ذلك التقسيم أو التصنيف البحوث والدراسات ، وفي المقررات الدراسية، والمكتبات وأماكن بيع الكتب[٣٨] ..ويرى النائب البريطاني جورج جلوى أن المشكلة التي نتحدث عنها تكمن في نظرة الدول الاستعمارية للشرق من خلال منظار الاستعلاء والسيطرة والخوف من الإسلام ، وبالتالي جعل الغرب ينظر للعالم الإسلامي بشيء من الخوف ، وأضاف أن ترويج الإعلام الغربي لبعض صور التطرف المرفوض ، رغم أن المهتمين بالثقافة العربية يعلمون أن ذلك لا يمت للإسلام بصله ولكن لا يعني ذلك أن جميع الشعوب الغربية تعلم ذلك.

أما صناع القرار في السياسة الخارجية :فإن هناك عدة أسباب بالنسبة لهم تتعلق بظاهرة "الإسلام فوبيا ":

١- الرغبة في إيقاف الهجرة المتدفقة من الدول الإسلامية بصفة خاصة من الدول العربية وتركيا ، في وقت تعاني فيه أوروبا من ارتفاع معدلات البطالة ، خاصة في ظل أزمة الديون الحالية في عدد من دول الاتحاد الأوروبي.

٢- اعتبارات استراتيجية للسيطرة علي الشرق الأوسط وبصفة خاصة منطقة الخليج.

٣- الخصومة والخلاف مع بعض الدول والسياسات الإسلامية مثل إيران.

٤- العمل علي ضمان الاستقرار للأنظمة الصديقة (خاصة الكيان الصهيوني).

يعتمد السياسيون علي العوامل السابقة في وضع نظرية أيديولوجية تمكنهم من التعامل مع الإسلام والشرق الأوسط بشكل أكثر يُسر .. من خلال الأنباء والتقارير التي تنقلها الصحف ومحطات التليفزيون المتعلقة بـ"الخطر الأخضر" والتي تُعد مادة إعلامية حيوية ومشوقة تخدم "السياسة الخارجية " كما يرى هبلر في كتابه الإسلام والغرب.

أسباب خوف الأوربيين من الإسلام

خوف الأوروبيين بصفة عامة من الإسلام يرجع إلى أن بعض الباحثين يرى أن الصورة الذهنية المضادة للإسلام كعدو في أوروبا ، هي جزء من الخوف من العالم الثالث بصفة عامة وليس الدول الإسلامية فقط ، فالخطر :

أولاً : يرجع لعوامل اقتصادية أو ثقافية أكثر منها عسكرية .

وثانياً : مصدره العالم الثالث الذي هو مكان يبدو فيه غياب الأمن والاستقرار، كما أنه مسرح للعنف والحروب الأهلية ... وهكذا أصبح التواجد الإسلامي الكثيف في العديد من الدول الأوروبية والتزام المسلمين بممارسة شعائر دينهم خاصة صلاة الجمعة وصوم رمضان ، والامتناع عن المشروبات الروحية والقمار الخ...

إلى جانب قيام بعض المسلمين بتصرفات غريبة علي المجتمع الأوروبي ، مثل غلق الشوارع لأداء صلاة الجمعة واستخدام الميكروفونات في آذان الفجر وذبح الخراف في الشوارع وعدم السماح للطبيب بعلاج المرآة إلا بصحبة محرم ، هذه التصرفات لا تستطيع المجتمعات الأوروبية فهمها أو تقبلها ، فضلاً عن حساسية الرأي العام الشديدة في أوروبا تجاه كل ما هو إسلامي لماذا ؟ لأن ما يُنشر ويُبث عن المسلمين في الإعلام يثير المخاوف والشكوك !! جاء ذلك في رسالة لمواطن مصري يعيش في أوروبا ، نشرت بعمود "من قريب" للكاتب سلامة أحمد سلامة ، بجريدة الأهرام المصرية١٢/١٢/٢٠٠٤م ص١٠ .

د- الجانب الإعلامي (صناعه الإسلام كعدو)

يبدأ دور الإعلام الغربي فى صناعة "العدو" والترويج " للخطر الاخضر" أى الخطر الإسلامى حيث اللون الاخضر يرمز للون الراية الإسلامية ، من خلال إدراك القائم بالاتصال – الصحفى أو الإعلامى – للدول والحكومات والثقافات الأخرى بأنها " الآخر" أو " المختلف " ، ومن هنا يتأثر القائم بالاتصال بالأفكار والاتجاهات السائدة واهتمامات العامة – وهو جزء منهم – كما لا يمكن فصل الإعلاميين عن المؤثرات السياسية والاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الربط يفسر لنا الكيفية التى يتم بها إدراك وفهم الإسلام فى أوروبا .. ونتيجه للتاثير المتبادل بين وسائل الإعلام والسياسة ، نجد أن " الخطر الأخضر" يصنع أخباراً حية ومشوقة فى نشرات التلفزيون ووسائل الإعلام المطبوعة ، يمكن الاستفادة بها لدعم السياسات الخارجية المقررة من قبل الدول الأوروبية .[٣٩]

كما تبدأ عملية بث ونقل الأخبار المتعلقة بالتهديد فى الولايات المتحدة أولاً من خلال " مصادر" غامضة ومسئولين غير معروفة هويتهم ، حيث يقومون بتسريب معلومات – كبالون اختبار – للتحذير من الخطر القادم .. حيث تعكس هذه المعلومات المناقشات والحوارات الدائرة فى كواليس السلطة ، وتكون هذه المعلومات مزوَّدة بتقارير أجهزة الاستخبارات،والتى تشير إلى وجود إرهابيين من

الخارج .. وهنا يعمل الصحفيون على البحث عن أسماء هؤلاء الأشرار .. وتجد وسائل الإعلام من حيث لا تدرى وتتوقع " مصادر " أجنبية متوافقة مع مصادر السلطه تقوم بمساعدة الإعلام فى الكشف عن معلومات جوهرية بوجود خطر قادم من الخارج ..

بالإضافة إلى ذلك تقوم المراكز البحثية بتقديم الزخم وتدعيم ما يطلقه المسئولون الرسميون ، حيث يقومون بإصدار المطبوعات وعقد المؤتمرات وجلسات النقاش واللقاءات الصحفية .. أما الحكومات الغربية فتقوم – نتيجة لذلك – بالاتجاه نحو إجراء دراسات وأوراق عمل ، ووضع نظريات وسياسات، تصبح جزءاً لا يتجزأ من روايات وسائل الإعلام ..ويصبح تحديد هولاء الدخلاء الجدد هو العامل المكمل لقضية " الخطر الاخضر "[٤٠] .

نلاحظ فى النموذج السابق الذى عرضه " ليون هدار " – الباحث المتخصص فى الدراسات الدوليه بمعهد كاتو فى الولايات المتحدة – يشرح كيفيه صناعة العدو "الأخضر" فى الولايات المتحدة من خلال المناقشات والأفكار والنظريات التى يتم إطلاقها من هناك خلال وسائل الإعلام المختلفة .. ولكن هذا النموذج لا ينطبق علي معظم الدول الأوروبية ، مثل فرنسا وألمانيا وأسبانيا ولكن يتنامى هذا الاتجاه من خلال قنوات أخرى ، أهمها وسائل الإعلام التى يتأثر بها قطاع عريض من الأوروبيين[٤١] .

لقد لعب الإعلام الغربي – فى معظم الأحيان – دوراً بارزاً فى تشكيل رؤية معادية للإسلام من خلال كثير من المعالجات الإعلامية ، التى جعلت الرأى العام يعتقد أن الإسلام هو هاجس العصر ومصدر الخطر والتهديد القادم ، ولم تفلح القلة المعارضة لهذا الاتجاه فى إيجاد صورة متوازنة لصالح الحقيقة – وهى أن الإسلام لم ولن يكون مصدراً للتهديد ..

ولكن المعالجات الإعلامية بصفه عامة اتسمت بـ :

١- تقديم النصح للحكومات والمسئولين ، ووضع الإرشادات التى ينبغى اتباعها لاحتواء هذا التهديد الجديد .

٢- النسبة الساحقة من المعالجات ركزت على ما يسمى " بالإسلام الشرق أوسطى " أو ربطت بين التصورات الخاصه بالإسلام بتلك المرتبطة بالتصور والإدراك لمفهوم الشرق الأوسط ، أو أن التهديد القادم مركزه الشرق الأوسط.. وهو ما يؤكد على الربط بين الظاهرة الإسلامية والصراع العربى "الإسرائيلى"، باعتبار أن حلَّ هذا الصراع هو أساس فك الاشتباك بين المسلمين والغرب بصفه عامة .

٣- التأكيد على التناقض بين الاسلام من ناحية وبين الديموقراطية وحقوق الإنسان من ناحية أخرى وأحياناً المساواة التامة بين الإسلام والإرهاب ، لدرجة أن بعض المعالجات لم تستطع التجمُّل ووصفت الإسلام نفسه بأنه مصدر تهديد.

٤- التحذير من التفرقة بين التيارات الإسلامية المعتدلة والمتشددة ووضعهم فى سلة واحدة مثل " لا تبحث عن المعتلين فى الثورة الإسلامية " " المسلمون قادمون "." الحزب الإسلامى الواحد الذى تموله وتوجهه إيران إلى حد كبير"..

٥- التأكيد على العلاقة العضوية بين معاداة الحركة الإسلامية ودعم الأنظمة القمعية فى البلدان الإسلامية ، مثل تصريحات " شيراك" بأن الغرب كان يساند صدَّام فى حربه ضد إيران لمواجة خطر الأصولية[٤٢] ... ومثل ما نشرته صحيفة " الفايننشال تايمز " البريطانية تحذر من وصول الإسلاميين للسلطة ..

٦- التحذير من الخطر الإسلامى بشكل يوحى بوقوع صدام وشيك مع العالم الإسلامى ، وتظهر العناوين التالية هذه التحذيرات مثل : " حرب مقدسة تتجه نحونا " ، " انتبهوا : الرعب الإسلامى : مجموعة انتحارية عالمية " ، " جزائريون يموِّلون الإرهاب الإسلامي " ، " الجهاد يتَّجه نحونا " .

٧- الانسياق وراء الأنماط السهلة والصور الجاهزة والإجابات المعدة سلفاً .. ومن هنا يرى الأوروبيون – وفقاً لِمَ تقدمه وسائل الإعلام – " الإسلام " أو"الظاهرة الإسلامية " تهديداً عالميّاً ذا طبيعة أُحادية ، أي عدو تاريخي ، تتعارض ديانته مع ديانة أوروبا – والغرب بصفه عامة [٤٣]- .. فتظهر الأنماط الشائعة والصور الجاهزة دون مناقشة أو تأصيل – ومن أمثلة الاعتماد على التنميط والصور والقوالب الجاهزة ، نجد الحديث عن " انتفاضة عالمية " ، بما يضلل القارئ ، ويحيد به عن الأسباب الحقيقية وراء السخط فى " الانتفاضة " الفلسطينية ، لأنه يعنى أنها جزء من انتفاضة أُممية إسلاميَّة أو أصوليَّة .. كما أن الحديث عن " انتفاضة " عالمية يفرض وحدة زائفة على الأحداث التى وقعت فى سياقات مختلفة تماماً مثل[كشمير وكوسوفا ولبنان واذربيجان ..][٤٤]

٨- وفى هذا الصدد نجد أن الإثارة والمبالغة فى المعالجات الإعلامية ، بما يعزِّز التعميمات والأنماط الشائعة ، بدلاً من البحث عن الأسباب والعلل الكامنة خلف الخطوط العريضة ، ونتيجة لذلك اُختزل الإسلام فى "شكل نمطي" على وزن "الإسلام والغرب" أو " حرب الإسلام ضد الحداثة " ، " الغضب الإسلامي"،" التعصب الإسلامى " [٤٥]

٩- وفى إطار التشويه الإعلامي.. نجد أن وصف اليابانيين بأنهم " أشرار" "والهنود الحمر بالمتوحشين " "والإيطاليين بالإرهابيين ".. قد اختفت وحلَّ محل كل هؤلاء " المسلمون " وأصبحت جميع الأوصاف السابقة تخص المسلمين وحدهم فى " الإعلام الغربي "، وكما اختفت الصورة البغيضة لليهودى : الجشع،المرابى ، الفوضوى ، الكريه من وسائل الإعلام ، بعدما نجح اليهود فى استغلال تعاطف العالم مع الأساطير التى تعتمد على " الهولوكوست " وغيرها.. فقد تم استبدال المسلم باليهودى فى نفس القالب ، والسيف والمصحف والعباءة بنجمة داوود ، والكوفية العربية الفلسطينية بالقلنسوة اليهودية أحياناً –[٤٦].

نماذج عملية للحروب الإعلامية

١- أزمة الرسوم المسيئة للرسول نموذج لصناعة العداء للإسلام :

إن الرجوع إلى قصة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ بصحيفة دانماركية والتى أدَّت إلى قيام أزمة عمَّت أرجاء العالم الاسلامى ، نجد أن التيار العنصرى فى الدنمارك استطاع أن يضع الإعلام الأوروبي تحت تأثير فكرة أن كل مسلم هو إرهابى أو يكمن داخله إرهابي ، وذلك من خلال بعض مظاهر العنف التى صاحبت المظاهرات فى عواصم الدول الإسلامية ولكن كيف بدأت هذه الفتنة المفتعلة ؟!

بدأت بزيارة " فلمنج روز " محرر الشئون الثقافية بجريدة " يولاندز بوست " المسئول عن نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ حيث التقى بصديقه الأمريكي "دانيل بايبس" المعروف بعدائه الشديد والكراهية لكل ما هو عربى وإسلامي ، وقد نال الرضا من إدارة بوش بضمه إلى معهد السلام بالعاصمة الأمريكية ، أحد مراكز الفكر السياسى المموَّل من الكونجرس ، والغريب أن رأس الأفعى(فلمنج روز) لم يتفتق ذهنه عن هذه الفتنة المفتعلة إلا بعد هذه المقابلة ، بهدف دفع المسلمين دفعاً إلى الغضب العارم ، ويأتى هذا التخطيط ممنهجاً ومتتابعاً كما لو كان يُعِدُّ الرأى العام فى أوروبا ليتقبل حروباً جديدة وموجات طرد للمهاجرين المسلمين[٤٧] ..وما يؤكد أنها كانت حملة إعلامية منظمة وممنهجة ضد الإسلام والمسلمين ، أنه عندما بدأت الصحيفة نشر تلك الرسومات ، بدأ عدد من سفراء الدول العربية والإسلامية في توجيه خطابات إلي رئيس وزراء الدنمارك في ذلك الوقت ، أندروز فوج راسموسن، لتوضيح خطورة هذه الرسومات علي مشاعر المسلمين وأنها لم تكن الأولي ضد الإسلام مما ساعد علي تنامي اتجاهات عدائية تجاه المسلمين هناك ، ولكنه رفض مقابلة السفراء الذين طلبوا لقاءه لمناقشة أبعاد الموضوع ، ورد علي خطاباتهم بقوله إنه لا يستطيع اتخاذ أية اجراءات حيال حرية الصحافة

في بلاده ، وإنه إذا كان قد حدث ما يضايق مشاعر المسلمين ، فإنه يمكنهم اللجوء إلي القضاء ، ورغم أن رئيس الوزراء قد اضطر في احتفال رأس السنة في عام ٢٠٠٥م إلي إعلان إدانته لأي عمل أو تصريح من شأنه الإساءة لأي دين أو ثقافة مختلفة ، إلا أن الصحيفة والحكومة ظلّتا علي نفس الموقف ، حتي أُضطرت الصحيفة للاعتذار علي شبكة الإنترنت ، ولكنها سحبته بعد ساعة فقط من نشره ، عندما بدأت الشركات الدنماركية تضغط علي الصحيفة بسبب المقاطعة لمنتجاتها من قبل الدول العربية والإسلامية ، كما أن الصحف الدنماركية الأخري قد أبدت تعاطفاً مع الصحيفة يولاندز بوست بل واتخذت موقفاً عدائيّاً من المسلمين بسبب حرق بعض السفارات الدنماركية وحرق علم الدنمارك في بعض البلدان الإسلامية حتي أخذت الصحيفة نفسها تتبجح وتدافع عن موقفها وتبرر افعالها بشكل سافر وفاضح ، لدرجة أن الكثير من الصحف الأوروبية أخذت تدافع عن الرسوم بدعوى حرية الرأي وتهاجم المسلمين هجوماً عنيفاً !! (٤٨)

٢ـ مقتل مخرج هولندي وعنصريّة بغيضة :

تعد معالجة قضية مقتل المخرج الهولندى "ثيوفان جوخ" نهاية عام٢٠٠٤م علي يد شاب مغربي وتداعياتها نموذجاً صارخاً للحرب الإعلامية علي المسلمين وصناعة العداء للإسلام ، فكيف تطورت هذه القضية ، التي تعد علامة فارقة في تاريخ العداء للإسلام ..

ماذا فعل المخرج الهولندى؟

ظل المخرج الهولندى يمارس الهجوم علي الإسلام والمسلمين في مقالات كانت تنشر أسبوعيّاً طيلة عام ٢٠٠٣م ، وبطريقة منتظمة في إحدى الصحف الهولندية (مترو) مما حدا بالمسلمين المقيمين في هولندا إلى إنشاء موقع علي شبكة الإنترنت للرد علي مزاعم المخرج ولكنه تمادى في غِيِّه ووجد من يسانده في حقده بدعوى حرية التعبير .. رغم أن المادة ١٤٧ من الدستور الهولندى تمنع إزدراء

الأديان وتجرِّم فاعله ، ولكن هولندا مثل دول كثيرة تكيل بمكياليين عندما يتعلق الأمر بالمسلمين.[٤٩]

علي المستوى السياسي: رأى المراقبون والمحللون السياسيون أن مقتل المخرج الهولندي يُعد حالة من التطرف الإسلامي ، وعملوا علي الربط بين الحادث وهجمات ١١ سبتمبر وانفجار مدريد بأسبانيا عام ٢٠٠٣م ، والبعض الآخر تناول الموضوع من خلال ردود أفعال الهولنديين ، التي تندرج تحت ما يسمي بالخوف المرضي من الإسلام "إسلاموفوبيا"[٥٠] .. كما دعا السياسي الهولندى البارز جيرت ويلدرز إلى الحد من هجرة المسلمين إلى هولندا بل إنه قام بإنتاج فيلم سينمائي لتشويه الإسلام وسيرة النبي ﷺ بعنوان "فننه" سوف نتعرض له بالتفصيل لاحقاً ، وكانت النتيجة زيادة شعبية هذه السياسي العنصري وانتخابه لأول مرة عضواً في البرلمان الهولندي ، كما قامت السلطات الهولندية ممثلة في الخارجية والداخلية بحملات "عدائية" ضد المسلمين شملت فرض إجراءات مشددة وصارمة ضد (٢٥) مسجداً في البلاد تحت زعم محاربة الإرهاب ، إلى جانب الملاحقة القانونية وإلغاء تصاريح الأئمة والدعاة، واتهامات لبعض المسلمين بالعنف والتخطيط لتفجيرات في هولندا [٥١].

على المستوى الإعلامي :

بعد مقتل المخرج الهولندى ، أصبح هناك خليط متفجر يتم إعداده وعجنه في تلك الأيام ومكوناته هي (الإسلام ، الحركة الإسلامية ، المسلمون ، انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي ، اضهاد المرأة ، نزاع الشرق الأوسط ، نهاية المجتمعات متعددة الثقافات ، معادة السامية المتأسلمة ، وهكذا أصبح الكل في سلة واحدة (العرب والأتراك والمسلمون) وغدت النبرة أكثر حدة في تلك الأيام في معاداة الإسلام وأضحت مغلَّفة بعنصرية مكشوفة ضد المسلمين ، مقارنة بما حدث بعد عمليات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م .. وقد لعبت وسائل الإعلام الأوروبية دوراً فعَّالاً في هذا الأمر ، فبفضل الجدل والمناقشات التى تعرض في الصحف ،الإنسان

المسلم غير قابل للإصلاح ومتوحش بل وغير ملائم للحداثة .. وتبعاً لذلك فإن المثقفين العرب والمسلمين لم يجدوا لهم مكاناً داخل وسائل إعلام أوروبا كطرف محاور ، وإذا ما حدث فإنهم يمارسون نقداً لاذعاً لمجتمعاتهم [٥٢].

وبالنسبة لموقف الإعلام الألماني من الحملة الشرسة تلك الفترة ، فإنه لم يحدث منذ فترة طويلة أن عرفت وسائل الإعلام ، من تلفزيون وصحف من المستوى الجيد ، مثل هذا السيل من اللغط حول المجتمع متعدد الثقافات مثلما حدث في تلك الفترة .. حتي أصبح تحليل محتوى المطبوعات والمنشورات الإعلامية يشير إلى أن ألمانيا أصبحت "بلاداً مأهولة بالسكان من العرب والأتراك الحمقى الذين يمتنعون عن تعلم القراءة والكتابة ، ويزوجون بناتهم غصباً ، ويجاهدون عن طريق الجرائم والقتل من أجل تركيز دولتهم الدينية علي العالم الموازي الذي يعيشون داخله".

ويمكن في هذا الصدد أن نشير إلى الحملات التشهيرية التي قامت بها في تلك الفترة صحيفة مثل : Welt Die التي كرَّست نفسها لخدمة الحملات الصليبية علي الإسلام ، وحتي صحف مدينة هامبورج الأكثر جدية مثل Zeit Die الأسبوعية والتي مارست التشهير بالمسلمين ، من خلال افتتاحيات ذات طابع استفزازي مفتعل ، وفقاً لموقف رئيس التحرير.. وتذكرنا هذه الأجواء بتلك التي كانت سائدة في بداية الثمانينات عندما كانت النخب السياسية والإعلامية تغذي عقول الألمان بخطاب معادي للأتراك ، فقد كانت تبعات ذلك عمليات إجرام عنصرية وتهييج للشارع الألماني وخلق حالة من تسميم الأجواء السياسية الداخلية لسنوات عديدة.[٥٣]

ملاحظة مهمة : لا يمكن إغفال البعد الديني في هذه القضية ، لأن الكثير من القيم الأوروبية قامت علي معتقدات دينية في الأصل ، ولكنها ليست مسيحية المنبع بالضرورة، ومهما كان الأمر ، فإن المواطن الأوروبي صار يبرر هذه القيم السائدة في المجتمع بحجج دنيوية الطابع مع مرور الأيام ، وقد أصبحت القيم

الأوروبية الحالية دنيوية فعلاً ، ولكنها ذات أصول ومرجعية دينية ، خاصة لدى اليهود وبعض الحركات المسيحية المتطرفة مثل المسيحية الأصولية، التي تنتمي إليها بوش الابن ، وغيرها من الحركات التي تعادي المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا .

ثالثا: دور المستشرقين الجدد

يقول " كاى هانز " .. إن نظرية "هانتنجتون " نجحت في إيقاظ مشاعر العداء التاريخية في العالم الغربى – بصفه خاصه تجاه الإسلام ، وأسهمت المتغيرات على الساحة العالمية في ترسيخ هذه المشاعر.

نشأة الاستشراق الجديد خلال القرن العشرين

وإذا تتبعنا نشأة الاستشراق الجديد خلال القرن العشرين نجد :

١- ما بين العشرينات إلى السبعينات من القرن العشرين امتزجت أُطروحات مدرسة الاستشراق التقليدية بأدبيات المدرسة التحديثية في الاستشراق ..وكانت النتيجة المناداة بالعلمانية وتهميش دور الدين في الدولة ، على اعتبار أن الدين من أهم الأنماط التقليدية التي ينبغي الابتعاد عنها من أجل التحديث .

٢- مع حلول عقد السبعينات من القرن العشرين ، ظهر الكثير من الدراسات العلمية والتغطيات الإعلامية ، التى تحذِّر الغرب من "الغول" القادم المتمثل فى الإسلام وأتباعه .

حيث بدأت الظاهرة الإسلامية فى الانتشار في العالم العربي .. ومن هذه الدراسات التى كان لها صدى كبير على صناع القرار فى أوروبا وأمريكا ، الدراسة التي قام بها " هارير دكميجيان " بعنوان " الإسلام ثورة " والتي رصد فيها ٩١ جماعة ومنظمة إسلامية فى الدول العربية ، واستخلص منها أن ٦٤ منها قد ظهرت مع نهاية الستينات وبدايه السبعينات ، و٨٨% من هذه المنظمات تعتبر راديكالية.

٣- ومع التطورات التي مرت بها المنطقه العربية، وتنامى التيارات الإسلامية منتصف الثمانينات انشق أنصار المدرسة التحديثية فى الاستشراق فى الغرب إلى تيارين :

الأول : أصحاب المدخل النقدى، الذى نادى بضرورة أخذ الدين كعنصر أساسى للتحديث ، خاصة أن الدين الإسلامى ، له ما يميزه عن الأديان الأخرى، وكان لهذه المدرسة تأثير محدود على الحياة السياسية والفكرية للغرب تجاه الاسلام والمسلمين .

الثانى : المدرسة التى أطلق عليها " أصحاب المدخل الدعائى " وهى المدرسة الأكبر تأثيراً فى مجالى : الإعلام ، والسياسة في أوروبا وأمريكا ... وأخذ هؤلاء بالدعزة إلى العودة إلى أدبيات المدرسة الاستشراقية ، ورجع كثير منهم إلى نظريات وآراء المستشرقين القدامى فى التعامل مع الإسلام والمسلمين.. ولذلك أُطلق عليهم أتباع " المدرسة الاستشراقية الجديدة " وتضم العديد من الأكاديميين والباحثين فى أقسام الدراسات الإسلامية المنتشرة فى دول أوروبا والولايات المتحدة ، إلى جانب العلماء البارزين فى العلوم الاجتماعية أو علم الأديان .

٤- وقد تبلورت هذه المدرسة وذاع صيتها مع بداية التسعينات وعزفت على نغمة الخطر الجديد ، أوالعدو الجديد، أى أن الإسلام خطر على الإنسانية ، من خلال الحديث عن "الأصولية"، وقد عبَّر عن هذا التوجه " بنيامين باربر" فى إحدى مقالاته فى مجلة "اتلانتك" عام ١٩٩٢م والتى جاءت تحت عنوان Gihad vs . mc world أو "الجهاد ضد العالمية " ، وكلمة mc world لها مدلول يشير للعالم الغربى " وجهاد " تدل على الأصولية ، فالأصولية خطر على العالم والإنسانية كلها .

٥ - ومن هذه المدرسة جاء المستشرقون الجدد بنظرياتهم الجديدة -القديمة- وقادوا العالم الغربى نحو سياسات المواجهة مع العالم الاسلامى .. وقد اعتمدت

وسائل الإعلام فى أوروبا – على وجه الخصوص – على مقولات هؤلاء المستشرقين الجدد ، وأصبحت الصحف ومحطات التليفزيون تتغذى وتتعلم من فكر هؤلاء وآرائهم .

ومن هذه المدرسة ظهر فرانسيس فوكوياما صاحب نظرية " نهاية التاريخ " والتى أطلقها فى كتاب يحمل نفس الاسم عام ١٩٩١م . " وبول جونسون " صاحب الدراسات المتخصصة فى الأديان خاصة المسيحية واليهودية .. وكذلك " ويلى ويمر" عضو البرلمان الألمانى صاحب كتاب " الحدود الدموية للإسلام".. ومن أهم هؤلاء المستشرقين يأتى "برنارد لويس" و"صامويل هانتنجتون" فهما الأساس الذى قامت عليه عمليه صناعة العدو وخلق ما يسمى بالخطر الأخضر أو التهديد الإسلامى (٥٤)

٦- أما " برنارد لويس" فهو مفكر أمريكى يهودى ويعد " إمام المستشرقين الجدد" ،وهو أول من استخدم مصطلح " صراع الحضارات " وقد نقلها عنه هانتنجتون ، وقد ظهرت " النزعة الصهيونية " عند برنارد لويس بعد حرب ١٩٦٧م .. فى جملة كتبه مثل " الشرق الأوسط والغرب " عام ١٩٦٨م .. "والعرق واللون فى الإسلام" عام ١٩٧١م ،و " واللغة السياسية فى الإسلام " و"يهود الإسلام " عام ١٩٨٤م .. وقد جاء تأثيره كالتالى :

١- تتركز أفكاره ونظرياته حول الخبرة التاريخية لأوروبا والتى يقيس عليها المجتمعات الشرقية ، فمن كان موافقاً لقيمها فهو متحضر ومن كان مخالفاً لها فهو متخلف وخطر !! لذلك ترتكز أسس مؤلفاته الفكرية على فكرة أن المسلمين خطر عظيم على الإنسانية مثل : هتلر وستالين ، وأن تنامى الإسلام و"دوائره المرعبة " أمر لا يمكن السكوت عليه .. فالتنامى الإسلامى فى العالم الإسلامى من جهة وفى العالم الغربى من جهة يعد بمثابة خطر محدق بالحضارة الغربية داخليّاً وخارجيّاً .. ويعظم من خطر الإسلام من خلال امتلاك المسلمين للسلاح

النووى .. ويطالب بوضع استراتيجية لقمع المسلمين محليّاً وعالميّاً ، حتى لو كان ذلك على حساب النواحى الأيديولوجية أو الأخلاقية أو الحريات الأَساسية.(٥٥)

٢- أهم مؤلفات لويس التى أثارت ضجة فكرية على مستوى العالم هو كتاب "الأصولية الإسلامية " وكان فى الإصل محاضرة ألقاها عام ١٩٩٠م باسم "محاضرة جيفرسون المهيبة" وهى أعلى شرف تسبغه إدارة الولايات المتحدة على أى باحث تقديراً لإنجازاته فى مجال الدراسات الإنسانية . ثم نشرت المحاضرات منقحة فى مجلة " Monthly Atlantic " تحت عنوان "جذور الهياج المسلم " .. وفى هذه المحاضرةً ، كان برنارد لويس هو أول من قدَّم صورة صادمة وسلبية للإسلام والمسلمين باعتبارهم " أصوليين" " ومقاتلين " خطيرين .. وهو يعزِّز الأَنماط الشائعة عن الإسلام والمسلمين ، ويهيئ القارئ لأن يرى العلاقة بين الإسلام والغرب فى ضوء الغضب والعنف والكراهية .. وبسبب مكانة لويس الدولية وباعتباره باحثاً ومعلقاً سياسيّاً متخصصاً فى شئون الشرق الاوسط . فإن موضوعه " جذور الغضب الإسلامى " لقى تغطية إعلامية وأكاديمية واسعة على الصعيد المحلى والدولى ، وكان له أثر كبير على الفهم العربى للاسلام ، وعلى الفهم الاسلامى لكيفية رؤية الغرب للإسلام والمسلمين .. وقد حظى المقال فى مجلة " أتلانتك " بدلالات كبيرة فكان الغلاف يصور مسلماً متعمِّماً وملتحياً متجهِّماً ، وفى عينيه المتوهجتين أعلام أمريكية.. إلى جانب ذلك جاء بالمقالة صورتان تقدمان الإسلام باعتباره عدواً لأمريكا بشكل واضح الزيف .. فالصورة الأولى عبارة عن حية مرقومة بالنجوم والشرائط تعبر الصحراء.. والصورة الثانية لحية كامنة وراء مسلم متدين يؤدي الصلاة فى أمان .. والصورتان روَّجتا للأنماط الشائعة المثيرة والمهيجة والمفتقرة للحقيقة .. وهذه الصورة التى رسمها المقال رسمت الإسلاميين فى صورة من يعيشون فى "العصور الوسطى" من حيث أسلوب حياتهم وعقليتهم ..

كما أن العنوان " جذورالهياج المسلم " فيه تعميمات وتشويه واضح مثلما قيل عن الإرهاب الإسلامى ، القنبلة الإسلامية ، العنف الإسلامى ، المقاتلين الإسلاميين وهلمَّ جرا .. وهو هنا يستخدم الأنماط الشائعة "السهلة" والافتراضات العلمانية الجاهزة .

ويرى المقال أن الصراع وشيك بين الإسلام والغرب باعتباره مرحلة فى نموذج تاريخى .. حيث يصور المسلمين فى صورة (المحرضين والدعاة للحرب طوال ١٤ قرناً) ، الإسلام عدوانى هجومى والغرب دفاعى ، يرد الهجمات .

٣- أما " صامويل هانتنجتون " فهو أستاذ علم الحكم والسياسة بجامعة هارفارد الأمريكية وكان مدير معهد " جون م . اولين " للدراسات الاستراتيجية بنفس الجامعة .. وصاحب كتاب " التنمية السياسية والتطور السياسى " و" الموجة الثالثة " . وهو حاصل على جائزه نوبل فى العلوم .

إن أهم مؤلفات هانتجنتون هو كتاب " صراع الحضارات " الذى كان فى الأصل مقالة فى مجلة " فورن افيرز "تحت نفس الاسم فى عدد يوليو١٩٩٣م والذى أحدث ضجَّة فكرية وسياسية مازال صداها وتأثيرها حتى اليوم ، فهناك المئات من المقالات والافتتاحيات فى صحف أوروبا التى ناقشت ومازالت تناقش نظرية هانتنجتون ، وهناك عشرات الكتب التى طرحت أفكاراً حول النظرية، وهناك العديد من الباحثين والأكاديميين الذين وجَّهوا نقداً للنظرية يهدم أساسها ، مثل : إسبوزيتو وبريجنسكى وليون هدار وهبلر وغيرهم الكثير.[٥٦]

تتركز النظرية حول فكرة (أن الصراع فى القرن الحادى والعشرين سيكون صراعاً حضاريّاً والحرب القادمة ستكون حرب حضارات ، وأن الحضارات الكبرى المرشحة للصدام مع الحضارة الغربية ، هى الحضارات الإسلامية واليابانية والصينية والأمريكية اللاتينية) ..

ولا يتورع الباحث عن اتهام الإسلام نفسه بأنه هو المشكلة .. فيقول فى الكتاب المذكور " إن المشكلة الكامنة بالنسبة إلى الغرب ليست فى الأصولية الإسلامية ، إنما تتمثل فى الإسلام ، لإنه حضارة مختلفة ، أهلها مقتنعون بتفوق ثقافتهم .. كما يرى أن الصراع بين الحضارة الإسلامية والغربية قد امتد إلى أكثر من ١٣ قرناً ، وأن الإسلام يعادى القيم التنويرية والتحررية والإنسانية فى الغرب ، والإسلام فى نظره دين دموى ، فهو يستخدم النمط الشائع (الإسلام له حدود دموية) أى الربط بين الإسلام وسفك الدماء.[٥٧]

٤-هانس بيتر راداتس (تلميذ هانتجتون ولويس)

هو مستشرق المانى معاصر صاحب مشروع فكرى للهجوم على الاسلام وحضارته بالكلمة المكتوبة ،من خلال مؤلفه المثير للجدل "حجاب الله " والذى صدر عام ٢٠٠٤م الموزع على خمسة أجزاء بنى كل جزء منها على النتائج المستخلصة من الجزء السابق عليه ، حيث يستخدم راداتس -حسب زعمه -أسلوب التحليل الاجتماعى العلمى ، لدراسة أهمية ودور المرأة منذ عهد النبى ﷺ حتى الآن ..وهذ الكتاب لا يعدو كونه مجموعة من الأحداث المتفرقة صحيحة فى بعض الأحيان ومزاعم عارية من الصحة فى أحيان أخرى ، حتى يصل إلى خلاصة ما يريد طرحه من مزاعم فى الجزء الخامس " المرأة فى الإسلام المعاصر" بدعوى هيمنة الجنس " أي وجود علاقة متداخلة بين التطلع لإشباع الغرائز الجنسيه والدين !! باعتبار أن هذه العلاقة تشكل الأساس الذى تقوم عليه كافة النظم الاجتماعية الإسلامية .. وبالتالى إنه يختزل الثقافة الإسلامية في المسائل الجنسية ، ويرى أن هذا المحور يجسد -حسب زعمه – الوضع البائس لهذه الثقافة ، وبالتالى فإنه لايجد خياراً غير رفض الثقافة الإسلامية وإدانتها.

وتثير هذه الآراء الشاذه دهشة واستياء كثير من المهتمين بالدراسات الإسلامية حيث أكد أحد هؤلاء الباحثين : " أن آراء راداتس تشهد بأن الرجل مخبول " يعانى من اضطراب نفسى ناشئ عن تركيز منظوره على مناطق الجسد تحت السرة،

ويرى آخر (مارتين تسيهرنجر) أن راداتس يتخبط كثيراً ويلف ويدور حول مصطلحات غريبة تدعو للدهشة من أجل التدليل على رأيه ، ويقول المستشرق الموضوعى (تسيهرنجر) خلال عرضه لكتاب " حجاب الله " فى مجلة فكروفن الألمانيه عام ٢٠٠٥م عدد ٨١ أن المرء حين يمعن النظر فى الآراء التى يريد هذا الخبير فى مسائل التحليل الاجتماعى " استخلاصها، فإنه يلاحظ بسهولة أننا حيال براهين تتصف " بالهوس الفكرى والاضطراب النفسى، وتدعى العلمية ولكنها تغض الطرف عن التباين التاريخى عمداً بغية تمرير عنصرية مستترة تريد أن تندس بشكل غير مباشر من خلال المغالطة المقصودة ".. وهنا يشير المستشرق الألمانى أخطر ما فى سموم راداتس أن هذه الدراسة تهدف إلى أن " تكون بوقاً يحذر من تعايش الثقافة الإسلامية والغربية وأن تساهم ، وهذا هو الهدف الأهم ، فى تعزيز الخوف من عدو مزعوم ، أي مسلمى أوروبا ، وذلك لأسباب استراتيجية بحتة ، فما تردده هذه الدراسة يعكس بنحو دقيق ، مغالطات وأهداف سيئة سمعناها تتردد كثيراً فى الازمنة السابقة " .. وفى هذا الصدد يعتقد راداتس أن الثقافة اليهودية – المسيحية ستتغلب على الإسلام – الذى يقرر هيمنة الرجل على المرأة والتسلط عليها – تصديقاً لما جاء فى العهد القديم – التوراة – من خلال الهيمنة على الأرض جميعاً .

ورغم أن دراسة راداتس قد اعتمدت على نتائج مؤلفات أخرى مثل مؤلفات هانتنجتون ولويس ،إلا أن الأمر الواقع أنه لا يتوافر له ما توافر لأستاذيه من تحليلات حديثة مهمة أغدقت عليها الدوائر المعنية الكثير من المال ، وبالتالى خلت دراسته من المسحة العالمية global touch ، كما تنقصها الشجاعة على البوح بالأهداف السياسية التى كان الاثنان ينشدانها ..

وفى الواقع يدين راداتس نفسه بنفسه كما جاء فى الصفحه رقم ٤٠٤ من كتابه السابق حيث يذكر أن المؤلف المهتم بشئون المجتمع ، ينتهج أسلوب التحليل "

الغنوصى الهدَّام " وذلك حينما يفصّل أحد الأمور التالية " أن يورد شيئاً عار عن الصحة أو يكتم شيئاً صادقاً " ثم يكمل اعترافه بالتزوير المنهجى للحقائق المرتبطة بالإسلام ، فى الصفحة التالية ٤٠٥ حيث يؤكد أن الأخلاقية التى يقوم عليها العلم تفقد موضوعيتها حين تفرز مبادئ اشتراكية أو فاشية أو إسلامية ، وبالتالى يدخل كتابه فى خانة العلوم غير الموضوعية ، التى تتحيز لخدمة أهداف خاصة ، حددت مسبقاً الثقافة التى تريد الهجوم عليها ، أى اصطنعت لنفسها عدواً من قبل أن تأتى بالبرهان على أن هناك عدواً يضمر لها الشر فعلاً.

خطورة الاستشراق الجديد

يرى المستشرق الألمانى – من أصل إيرانى – " نويد كرمانى " فى دراسة عن مستقبل الدراسات الإسلامية فى المانيا أن الخلفية الاجتماعية والثقافية التى تقوم عليها الدراسات الإسلامية السائدة الآن – الاستشراق الجديد القائم على المتخصصين فى الدراسات الإسلامية– ترتكز على التصورات المهيمنة على الذهن الأوروبى بشأن الإسلام ، والغرور الأوروبى الذى يتسبب فى أن يستنكر " الوعى العام" والعادات والتقاليد المتأصلة فى الاقلية المسلمة القاطنة فى أوروبا، ونفى الثراء الثقافى الذى دخل أوروبا مع المهاجرين ، بما يشكل انقلاباً حقيقيّاً على سر نجاح المشروع الأوروبى منذ الثوره الفرنسية – أى الانفتاح الحقيقى على ثقافات العالم – حتى أصبح بعض المؤرخين يرون أن المسلم –بسبب دينه– " لايمكن أن يكون أوروبيّاً !!

ويؤكد "رومان لويماير " أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بايروت الألمانية أنه يمكن للباحثين فى الدراسات الإسلامية أن يدعموا الأحكام المسبقه القائمة والمفاهيم الخاطئة عن المجتمعات الإسلامية ، وذلك من خلال تقديمهم لمادة تخصصهم بهذا الشكل الخطير المزيف سواء بوعى أو بغير وعى .. ويعترف لويماير خلال ندوة عقدت بمدينة فرايبورج الألمانية عام ٢٠٠١م قبل وقوع احداث

سبتمبر بخطورة الدور الذى يلعبه الاستشراق الجديد ، قائلاً : " يمكن اعتبار الخطاب الاستشراقى عن " الإسلام " و" المسلمين " وأهمية الدين استراتيجية إمبريالية ماهرة للتعامل مع دول الشرق فى وصفها الحالى ، كدول أدنى وأقل تطوراً من الغرب، ويضيف : نحن " المستشرقين " لا نريد أن تكون هناك دول عربية حديثة ، وأن تبقوا " مسلمين متخلفين " ، وأن تبقى الصور العدائية لدينكم ، بوصفه ديناً سلفيّاً بطريركيّاً معادياً للنساء "...

محاربة أى أفكار مقترحة مخالفة للاتجاه السابق السائد فى الدراسات الاسلامية – الاستشراق الحالى – على طريقة الحروب الصليبية ، وهو ماحدث مع فكرة "رانيهارد شولته" عن إمكان وجود " تنوير إسلامى " .. حتى أضحى ذلك التخصص يعطى انطباعاً بأنه يتبع نموذجاً استشراقيّاً قديماً ،يرجع تفسير أي حدث فى بلاد المشرق إلى الإسلام .

هذه النظرة الاستشراقية يتبناها عدد من المثقفين اليساريين الذين تضايقهم مجتعمات الشرق الأوسط وحضور الدين القوى فيها ، ويطالبون بعلمنة راديكالية لهذه المجتمعات .. ويرى المستشرق الألمانى " البريشت ميتسجر" فى دراسة عن نقد الفكر الاستشراقى نشرتها مجلة " فكروفن" الألمانية – باللغة العربية ، عام ٢٠٠٥م أن هذه المدرسة قائمة على مقولة أن " هناك ارتباط قوى بين الدين والسياسة فى العالم الإسلامى منذ البداية ، ولهذا فالإسلام لديه مشكلة مبدئية – كدين – للقبول بدولة علمانية حديثة ، والحركات الإسلامية ما هى إلا الشكل الحديث للجمع بين الدين والدولة " ..إذا " فإن كل إسلامى يظل فى حقيقته معادياً للسامية ، وفاشيّاً ومتطرفاً لا صدى للحوار معه " ، كما أنها ترى أن الكراهية للغرب فى العالم الاسلامى لا تقتصر على الإسلاميين وحدهم، فقد كان القوميون العرب فى السبعينات والثمانيات يكرهون الغرب رغم أنهم لم يرفضوا مبادئ التنوير .

العمل كجواسيس وعملاء لدى الجهات الأمنية والجهات المعادية للإسلام .. تقول الكاتبة الألمانية " كتايون اميربور " فى دراسة عن الدراسات الإسلامية والتحديات الجديدة عام ٢٠٠٤م ، أن المتخصصين فى الدراسات الإسلامية أصبحوا عملة نادرة فى ألمانيا بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م ، فبين عشيَّة وضحاها ازدادت الحاجة لهم للعمل كخبراء فى شئون الإسلام والمسلمين لدى الكنائس أو فى وزاره الخارجية أو كمستشارين لدى هذا السياسى أو ذاك ، أو كموظفين لدى جهاز أمن الدولة ، المسمى فى ألمانيا مكتب حماية الدستور ، وكذلك الوزارات والسفارات ، كما وظف " مكتب المخابرات الاتحادى " بضعة آلاف من المتخصصين فى الشئون الإسلامية ، وتفاقمت الحاجة لهذا الاختصاص بحيث صار مكتب التحريات الجنائية فى مدينة فيسبادن يركز على طلبة الدراسات الإسلامية ، أملاً فى تجنيدهم قبل أن ينهوا دراستهم بسنوات عديدة ، وينطبق الأمر ذاته على وزارة الخارجية ، فهى تسعى أيضاً للانتفاع بخدماتهم فى إطار ما يسمى " ملف مكافحة الإرهاب " .. إلا أن الأمر الذى يتعين ملاحظته أن الدراسات التى تقدم فى هذا الملف يقوم بها باحثون متخصصون فى شئون الإرهاب فقط ، أى أن إلمامهم بالمشاكل السائدة فى الإقليم المراد تسليط الضوء عليه – كمكان لانتشار الحركات التى تمارس العنف – يكون ضعيفاً جداً ، وبالتالى قلة الخبرة والكفاءة فى التعرف على خصائص ومكونات المجتمعات المراد تسليط الضوء عليها فى العالم الإسلامي.

أما عن علاقتهم الوثيقة بوسائل الإعلام : يرى المستشرق الألمانى " جويدو شتاينبرج " ان الصورة المتداولة فى وسائل الإعلام ولدى الباحثين المتخصصين فى شئون الإرهاب ، هى صورة مغلوطة عن الإسلام والمسلمين توحى بأن ثمة هناك " تنظيم إرهابى عالمى الأبعاد " .. وترى كتايون اميربور فى دراستها السابقة أن وسائل الإعلام فى أوروبا قد وجهت لوماً كبيراً للمستشرقين – الباحثين الأكاديميين المتخصصين فى الشأن الإسلامي – بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ،

على اعتبار أن دورهم التنبؤ بالزمان والمكان الذى سيتعرض فيه المجتمع لاعتداء جديد ينفذه ما يسمى بالإرهاب الاسلامى..

رابعاً: دور اليهود والصهيونية

لعبت التأثيرات الصهيونية والإسرائيلية دوراً مهماً فى بث الخوف من الإسلام فى العقلية الغربية ووسائل الإعلام من خلال :

١- الدور الذى لعبه المستشرقون اليهود أمثال برنارد لويس وهانتنجتون وجوديت ميلر وغيرهم من الباحثين والمفكرين .

٢- السيطرة على كثير من الصحف في أوروبا وأمريكا ، إلى جانب الكتَّاب والمعلقين فى مختلف الصحف والقنوات الإعلامية ، فبثت الرعب فى النفوس من الإسلام ، وأيدت إسرائيل ، وعملت على وصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب ، والتخويف من الإسلام من خلال الانتفاضة .

يقول معلق إسرائيلى :" لا يهم كيف كانت الشيوعية سيئة ، فإنها لم تكن أبداً خطوة للعودة للقرون الوسطى ، وما يصعب علينا رؤيته هو كيف ستتمكن ديموقراطيات القرن الحادى والعشرين من العيش فى سلام مع قوى عقدت العزم على أن تبرهن أن الألف سنة الأخيرة لم تحدث" .

٣- دأب مسئولو الحكومة الإسرائيلية والأكاديميون الإسرائيليون على الترويج لما يدعون أنه " شبكة عالمية من الإرهابيين والمتعصبين المسلمين المكرسين لتدمير الحضارة الغربية " ، كما تقول جوديث ميلر الكاتبة فى نيويورك تايمز فرئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق اسحاق رابين يصف إسرائيل بالحليف الجاهز للغرب حيث قال : " إن العالم الغربى ، والعالم عموماً ، سوف يدفع الثمن إذا لم يتوقف سرطان الإسلام الأصولى المتشدد فى أكاديمية الخومينى وأتباعه فى إيران ".. وهكذا تكفلت االصهيونية فى وقت مبكر بمهمة تأليب العالم الغربى ضد الإسلاميين ، وكانت أول من سعى إلى إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام وعمدت

إلى تحريض العالم على تشكيل ما أسمته بتحالف دولى ضد الأصولية والتطرف الإسلامى .. ولا يكاد يمر يوم دون أن تنشر الصحف العبرية تصريحات لمسئولين من إسرائيل يحذرون فيه من الحركات الإسلامية، ويدعون أنها أصبحت الخطر الأكبر على استقرار المنطقه والعالم ، كما جعل الكتاب الإسرائيليين من " الإسلام السياسى " قضيتهم الأولى.

ويرى بعض الأكاديميين – مثل هارتن كرامر الباحث بمركز موشيه دايان بجامعة تل أبيب – أن الشرعية تقف فى تعارض صارخ مع الإعلان العالمى لحقوق الانسان الذى يضمن حرية الاختيار ، وأنها " ليست مرنة بصورة لا نهاية لها ".. بينما يرى " مايكل ويدلانسكى" فى مقال نشرته جريدة " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية يوم ٢١ أبريل عام ١٩٩٣م ، إن الإسلام "عقيدة سياسية واضحة وعقلية نضالية تبشيرية بل عدوانية ".. بينما يرى آخرون أن الصلة بين الإسلام والديمقراطية وحرية الرأى منقطعة ، وهكذا زرع الإسرائيليون المخاوف عن الإسلام فى نفوس الأوروبيين والغربيين – المهيئين فى الأصل – لقبول كل ما يقال من سلبيات الإسلاميين.

٤– كما لعب المفكرون فى خطابهم الإعلامى على وتر أن العرب والمسلمين يريدون تدمير إسرائيل لأنها جزء من الحضارة الغربية ، وأنها الموقع الأمامى فى المعركة الحضارية ، ومثال ذلك ما نشرته صحيفة " يديعوت احرونوت " فى مقال للمفكر الصهيونى جاى باخور يوم ٢٨ فبراير ٢٠٠٥م ، زاعماً أن الطائفة المسلمة فى أوروبا أصبحت تمثل رعباً للمجتمع والحكومات ، على اعتبار أن المسلمين قد يصبحون أكثرية فى المستقبل القريب فى بعض دول أوروبا .

يتفق كل من المفكرين والمستشرقين الصهاينه فى موقفهم العريق المتسم بالعنصرية والعداوة ضد الإسلام والعرب ، وذلك بسبب اللغة والعقيدة المشتركة بين الغرب والصهيونية والتوحد فى التصور – Identification عن العرب والمسلمين فعلى سبيل المثال ، نجد باحث صهيونى مخلص هو وليام زف

صاحب كتاب " اغتصاب فلسطين " يردد نفس مقولات المستشرقين القدامى عن العرب مثل الصفات البدائية والتهتك الجنسى والنزعة النفسية للعنف، واللاعقلانية المتعطشة للدماء والافتقار للذكاء .. أما الإسلام فيصفه الباحث اليهودى – مثلما ورد لدى المستشرقين – بأنه مليء بالمستويات الخلقية الحقيرة، والخرافات والجهل المتعصب.

يمكن القول أن تقديم الصهاينة للعرب على النحو السابق – إلى المجتمع الغربى لم يؤد إلى تشويه الصورة العربية والإسلامية فقط بل أدى إلى إحياء الصورة السلبية القديمة مثل الجهل والتخلف والجبن والعنف والبدائية .. فقد أكدت الباحثة الأمريكية " جانيس تيرى " فى دراستها "للاتجاهات الصهيونية تجاه العرب ، كما تعكسها النشرات الموجهة إلى الجماهير الغربية " ، أن الصهيونية قد جردت الشعب الفلسطينى من إنسانيته ، بشكل يحط من قدره ، وعملت هذه النشرات الصهيونية على تثبيت الصور القديمة التى روجها المستشرقون ..وتقول تيرى إن الدعاية الصهيونية عملت على إشاعة الاعتقاد لدى القارئ العادى ، إن العربى هو "الفلاح" أو " البدوى" وأن " الإسرائيلي " شخص متفوق عليه ، مما يوحى للقارئ بأنه إذا لم يعترف هذا " البدوى " بإسرائيل ، فأنه سيظل متخلفاً بمسافة طويلة جداً وراء إسرائيل.(٥٨)

٥- ممارسة الضغوط لكي ينشر الإعلام الغربي معلومات غير دقيقة عن العرب والمسلمين ويحجب المعلومات السلبية عن إسرائيل والصهيونية .. ويعد كتاب " إياك والنشر .. قصة التغطية لشئون الشرق الأوسط " من أبرز المؤلفات حول الضغط الصهيونى لدى الإعلام الأوروبى .. ويؤكد مؤلف الكتاب " مايكل ادمز " وهو صحفى بريطانى بارز ، أن الكتابات الصحفية المتحيزة ضد العرب والمسلمين الصادرة من فلسطين المحتلة ، إنما ترجع إلى عادة الصحف البريطانية فى تعيين مراسلين لها فى إسرائيل من اليهود أو المناصرين للصهيونية ، مما قد يؤدى إلى توليد عنصر من عناصر الكتابة الصحفية الانتقائية .

كما يشير ادمز إلى الضغوط التى مورست عليه لمنعه من نشر سلسلة تقارير عن الأوضاع المتردية للشعب الفلسطينى تحت الاحتلال الإسرائيلى فى غزة والضفة الغربية عام١٩٦٧م ، حيث رفضت جريدته – الجارديان – وكذلك التايمز نشر هذه المقالات ، وعندما قام بنشرها فى جريدة أخرى ، واجه حملة منظمة من قِبَل السفارة الإسرائيلية فى لندن وكذلك الصحف اليهودية فى بريطانيا ومن مؤيدى الصهيونية ..

ويؤكد ادامز أن الصحفى مهما يكن مؤهلاً ، فإن الكتابة لصحفية بريطانية يجب ألا يتعارض مع الهوى الصهيونى والسفارة الإسرائيلية، وألا تعرض الصحفى لفقد عمله أو على الأقل منعه من الكتابة فى نفس الموضوع ، ويذكر ادامز أن جهود الصحفيين لوقف الضغوط الصهيونية لم يكن لها إلا تأثير قليل ، حيث يواجه هؤلاء الصحفيين " جبروت الوكالات الدعائية الصهيونية المختلفة ومجموعات الضغط فى هذه البلاد . " (٥٩)

والخلاصة ، أن الصهيونية منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨م على أرض فلسطين. لم تتغير لهجتها بشأن العرب والفلسطينيين ، فهم يمثلون كتلة لا وجهة لها إرهابية مجردة من الإنسانية ، تظهر دائماً فى صور عنصرية سلبية ، وليس من المستغرب أن تتبنى وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية مثل هذه الصور بالنظر إلى الصلة الحميمة بين الأهداف الامريكية والأوروبية من جانب والأهداف الصهيونية من جانب أخر .

مراكز الأبحاث الصهيونية .. مؤسسات تصنع العداء للإسلام

لعبت مراكز الأبحاث السياسية think tank ومراكز الأبحاث الإعلامية والتي يسيطر اليهود والصهاينة على أغلبها دوراً مهماً فى صناعة العداء للإسلام والمسلمين، ومن أهم هذه المراكز ، مؤسسة أبحاث الإعلام للشرق الأوسط (ميمرى) والذى تأسس عام ١٩٩٨م فى واشنطن على يد الكولونيل ايجال كارمون العضو السابق فى الاستخبارات الإسرائيلية :

أ- مهمة المركز ترجمة محتوى وسائل الإعلام (العربى والفارسى والعبرى) إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والإيطالية والروسية والتركية والعبرية ، إلى جانب تقديم تحليلات فريدة للتوجهات السياسية والايديولوجية والفكرية والثقافية والدينية والاجتماعية السائدة فى الشرق الأوسط وهى مؤسسة مستقلة لها مكاتب فى برلين ولندن والقدس ، وتوفر خدماتها مجاناً بانتظام وبشكل واسع إلى وسائل الإعلام والمؤسسات والسياسيين والمسئولين فى أوروبا والولايات المتحدة -خاصة أعضاء الكونجرس الأمريكى إلى جانب " مشروع ميمرى للرقابة التلفزيونية " والذى يتابع محطات التلفزيون الرئيسية العربية والإيرانية ، وتقوم المؤسسة بانتظام بترجمة مقتطفات قصيرة مختارة بعناية ، لتقدمها إلى المحطات الغربية وإلى مختلف هيئات الإشراف السمعى والبصرى .. تقوم العملية على اختيار النصوص والمقاطع المطلوب ترجمتها ، وتنزع "ميمرى" إلى إبراز تيارات فكرية محدودة التأثير فى الصحافة والإعلام ، فالقارئ الذى لا يتقن العربية ويكتفى بهذه الترجمات يعتقد أن الإعلام العربى يقوده مجموعة من الكتاب والصحفيين المتعصبين المعاديين للغرب.(٦٠)

ب- يشير موقع المؤسسة على شبكة الانترنت www.memri.org إلى أنها تعمل على استكشاف الشرق الأوسط من خلال وسائل إعلام المنطقة ، وإنها تقيم جسراً بين الغرب والشرق الإوسط ؛ " توفيراً لمعلومات عن النقاش الدائر حول السياسة الإمريكية فى الشرق الأوسط " ويؤكد ذلك الجنرال ايجال كارمون مؤسس المركز بقوله على شاشة قناة الجزيرة فى فبراير ٢٠٠٤م "إن هدف ميمرى علمى وهو إبلاغ الغرب كيف أن وسائل الإعلام العربية تصنع أحداثاً فى الشرق الأوسط " .. ولكن يرى بعض الكتاب العرب ، وأحياناً الأوروبيين ، أن الدور الحقيقى لمؤسسة " ميمرى "هو خدمة حكومة تل أبيب وخاصة الليكود وجماعات الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة ، فالواقع إنه عند تأسيسها ،كان ثلاثة من أصل ستة من فريق عملها قادمين من جهاز الاستخبارات الإسرائيلية، كما أن

الكولونيل كارمون يتمتع بروابط قوية مع صُنّاع القرار فى الكيان الصهيونى ، فهو يتحدث العربية وعمل مستشاراً فى مجال مكافحة الإرهاب لدى رئيسين للوزراء هناك هما اسحاق شامير واسحاق رابين ، كما يستفيد من دعم بعض القوى الفاعلة فى الولايات المتحدة ،مثل مؤسسة " هودسون " القريبة من المحافظين الجدد – الذين حكموا الولايات المتحدة إبان فترة بوش الابن – خاصة الناشطة الصهيونية " مايراف ورمسر " مسئولة قسم الشرق الأوسط فى المؤسسة – آنذاك – كما تستفيد " ميمرى " أيضاً من عطاءات العديد من المانحين الذين ينتمون لليمين الأمريكى مثل مؤسسة " ليندو هارى برادلى " ... وبشكل عام تخدم " ميمورى " الاستراتيجية الإسرائيلية للتشكيك فى العلاقات بين الغرب والعالم العربى والإسلامى ، أى تسميم الأجواء بيننا وبين الغرب ، بهدف تشويه صورة العرب والمسلمين فى نظر الغرب ، من خلال تصويرهم بأنهم متعصبون وكارهون للآخر ، وذلك من أجل تحسين صورة الدولة العبرية أمام العالم ، والتى تدهورت كثيراً منذ الانتفاضة الفلسطينية الاولى (١٩٨٧– ١٩٩٣) وحرب الجنوب اللبنانى ، مما دفع الكيان الصهيونى إلى الاهتمام مباشرة بما تقدمه وسائل الإعلام العربية خاصة بعد انتشار الفضائيات وَفَقْد الحكام العرب جزء من رقابتهم على الإعلام(٦١).

جـ – نفذت "ميمرى" عدة حملات ضد القضايا المتعلقة بالعرب والمسلمين مثل : حملة التشهير بالكتب الفلسطينية المدرسية عام ٢٠٠١م ، للإيحاء بأن هذه الكتب تغذى معاداة السامية ، كما ساهمت عام 2003 فى الحملة التى ادت الى اغلاق مركز الشيخ زايد فى الامارات ، وفى عام 2004 نجحت بالتعاون مع موقع info-proche- orient فى منع بث قناة "المنار" التابعة لحزب الله فى فرنسا ، بعد ان بثت القناة فى اكتوبر 2003 مسلسلا يتعلق باليهود ويعرض جريمة قتل تتعلق بالشعائر ، وكانت التهمة حسب القانون الفرنسى معاداة السامية.!!

وفى يونيو ٢٠٠٤م أطلقت ميمرى حملة عنيفة ضد زيارة الشيخ القرضاوى إلى لندن ،رغم طلب عمدة لندن فى ذلك الوقت "كين لفنجستون" دراسة ، خلصت إلى أن هذه الحملة الإعلامية لميمرى " تندرج بالتأكيد ضمن موجة العداء للمسلمين الرامية إلى منع الحوار بين المسلمين التقدميين والغرب " .. وفى نهاية الدراسة التى شملت مؤلفات القرضاوى أشارات النتائج ، التى جاءت مذهلة ، أن مؤسسة "ميمرى " التى تدَّعى الموضوعية هى من روجت عن عمد إلى صناعة الأكاذيب التى تشوِّه مواقف وآراء القرضاوى .. وقد جاء ذلك على لسان عمدة لندن قائلاً : " اكتشفنا أن مدير المؤسسة ضابط سابق فى الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) وهو يشوِّه الوقائع بانتظام ، ليس ما يتعلق بالقرضاوى فقط ، إنما بكل ما يقوله العلماء المسلمون ، وفى غالب الأحيان ، يكون التشويه كاملاً لذا نشرت هذا الملف " (٦٢)

د- ورغم خطورة ما سبق ، فإن الأمر الأكثر خطورة هو خلق جيل من العملاء والموالين للفكر والمنهج الذى تسير عليه هذه المؤسسة ، وذلك من خلال ابتداع فئة " الصحفى الليبرالى أو التقدمى" ، والانتماء لهذا الصنف ، يتطلب :

أولاً : الوقوف ضد أية مقاومة مسلَّحة فى العالم العربى ، خاصة فى العراق وفلسطين ، انتقاد حركة حماس وحزب الله ، إظهار العداء الشديد للقومية والإسلام السياسى (لاحظ ذلك الهجوم فى مصر بعد الثورة خاصة بعد حصول التيار الإسلامى على الإغلبية فى البرلمان بداية ٢٠١٢م ، ثم انتخاب رئيس الجمهورية المنتمى للتيار الإسلامى) والتعبير عن احتقاره للثقافة العربية وانتقاد علماء الدين.

ثانياً : مطلوب منه الدعوة إلى "الواقعية " أى القبول ميزان القوى وبالتالى الهيمنة الأجنبية ، والترحيب بالمشاريع الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وتشجيع العرب على النقد الذاتى والتخلى عن عقلية "المؤامرة" ، وكذلك امتداح الحريات الفردية بأنواعها !! دون التشديد على الحريات السياسية والإصلاح السياسى ، خاصة فى دول الخليج .. وبالتالى وضعت قائمة للصحفيين العرب الذين تكيل

لهم "ميمرى" المدح أو الانتقاد بما يشكل نظاماً للثواب والعقاب [٦٣] .. فالصحفيون الليبراليون والتقدميون يُدْعَوْن لزيارة الولايات المتحدة ومراكز الأبحاث الموالية للصهيونية ، ويتم الحصول على تأشيرات دخول أمريكا بسهولة ومن ثم الاتصال بالإعلام والمسئولين الإمريكيين والأوروبيين .. أما العقاب ضد من تصنّفهم " ميمرى " مروجى الكراهية ، فيمكن أن يتضاعف كمّاً وكيفاً إلى حد مطالبة بعض الإعلاميين الإمريكيين من وزارة الخارجية الإمريكية بإصدار تقرير كل ٣ أشهر يتضمن أسماء العشرة الأوائل المروجين للكراهية ومن يجدون مبررات أو أعذاراً للإرهاب ، خاصة توماس فريدمان كاتب الافتتاحيات فى صحيفة " نيويورك تايمز ".

هـ – غالباً ما يتم توجيه نقد لمؤسسة " ميمرى " بسبب نوعية ترجماتها وحتى حول مصداقيتها ، خاصة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين أو ما يتعرض للصهيونية أو إسرائيل بالنقد .. من أهم الأمثلة على ذلك قيام المؤسسة بترجمة فقرات من برنامج " أكثر من رأى " الذى أذاعته قناة " الجزيرة" القطرية بعد التفجيرات التى وقعت فى لندن فى السابع من يوليو ٢٠٠٥م ، والذى شارك فيه هانى السباعى القيادى الإسلامى المقيم فى بريطانيا ، وأدخلت الترجمة مصطلح " دار الحرب " الذى تم ذكره على لسان السباعى ، وبالتالى فإن إضافة هذا المفهوم – فى ظل الحرب على الإرهاب فى ذلك الوقت – يوحى أن كل شئ مباح فى " دار الحرب " !! وكأن الإسلام يسعى للخراب والدمار والقتل .. وقد تم ترجمة مصطلح "الصهيونية " الذى يرد فى الصحف العربية باليهودية أو اليهود، بما يوحى أن الكاتب لا ينتقد الحركه الصهيونية أو إسرائيل وإنما ينتقد اليهود كشعب ، بالتالى فإن تهمة معاداة السامية جاهزة وبالتالى يمكن عقاب الكاتب وتدمير حياته ، خاصة إذا كان مقيماٍ فى الولايات المتحدة أو أوروبا أو له مصالح مرتبطة بالغرب ، وحدث ذلك مع حليم بركات الأستاذ بجامعة جورج تاون بنيويورك ، حيث تم ترجمة مقال نشر له فى "الحياة " اللندنية تحت عنوان "

المسخ الذى خلقته الصهيونية : التدمير الذاتى" ترجمة "ميمرى" بعنوان يثير الكراهية (اليهود فقدوا انسانيتهم) .

الخلاصة

تشير الاتجاهات السائدة فى انحاء كثيرة من أوروبا – خاصة فى الدنمارك وهولندا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا – إلى أن الروح المعادية للإسلام لم تفصح عن نفسها فى الأبواب الثقافية التى تنشرها الصحف والمجلات ، ولا شبكة الإنترنت والندوات التلفزيونية فقط بل تظهر أيضاً واضحة فى خارطة الحياة الحزبية وفى نتائج الانتخابات العامة ،والتى كان آخرها حصول مرشحة الجبهة الوطنية المتطرفة فى فرنسا على نحو ٢٠% فى انتخابات الرئاسة ٢٠١٢م ، خلال الجولة الأولى ، والمعروفه بعدائها الشديد للمهاجرين وخاصة المسلمين.

يرى بعض المحللين والباحثين المتخصصين – مثل فايدنر – أن المواقف السلبية التى يتخذها الرأى العام الأوروبى تجاه الإسلام ، ترجع إلى مجرد مخاوف مرضية وليست حصيلة وقائع حقيقية .. والدليل على ذلك أن الحركة المعادية للإسلام تعمل بلا أرضية سياسية ، بالرغم من تمتعها بتأييد جماهيرى عريض ووجود بعض المثقفين والسياسيين فى صفوفها كما أن الأحزاب التابعة لهذه الحركة العنصرية ، هى أحزاب تكاد تعيش على الهامش وتعجز عن تحديد أهداف سياسية لتحقيقها دون اتخاذ اجراءات متحيزة ضد الإسلام ، إلى جانب لجوء الخطاب الإعلامى للحركة المعادية للإسلام إلى " التعميم " فى الأحكام ، وتجاهل الاختلافات بين المسلمين ، فأصبح الغضب والاحتجاج الصادر من هذه الحركة ليس إلا من قبيل الضجيج والصخب ، حيث التنفيس عن غضبها من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية ، والتى يجدون منها الأذان مصغية بحجة أن التنفيس يمنع قيام أحزاب تناهض الإسلام أو اتخاذ مواقف متطرفة تجاه الإسلام رغم أن الشواهد تؤكد أن المنطق والحجج الدامغة لا تجدى نفعاً مع هذه الحركة المناهضة للإسلام كما يقول رئيس تحرير مجلة فكروفن .

يمكن تلخيص العقيدة التي تتوارى خلفها حركة العداء للإسلام في الغرب ، في عبارة تزعم ظلماً وبهتاناً أن الإسلام لم ينطو على خير قط ، ولا خير منه قطعاً ، وبالتالي فقد انعكس ذلك على صفحات بعض الصحف الأوروبية على سبيل المثال حتى عام ٢٠١٠م ، حيث يمكن أن نفترض من خلال النقاشات في تلك الصحف أن حوالي نصف الأوروبيين يعتبرون الإسلام وأغلب المسلمين خطراً يهدد أمنهم ، ويعتقدون أن وجود الحجاب والمساجد في الأماكن العامة رمزاً لاضطهاد المرأة وظاهرة تشير إلى سعي الإسلام للهيمنة على بلادهم – انظر " شتيفان فايدنر " : " جدل جديد هو الإسلام في المانيا : لماذا يتملق الإعلام الألماني للحركة المعادية للإسلام "موقع قنطرة ١٠/١٠/٠ ٢٠١!

ومع ذلك أمست حركة معاداة الإسلام تتصف بالاحترام والتبجيل !! وذلك لانتشار هذا التوجه المتعجرف بشكل واسع في صفوف الكثير من المثقفين ووسائل الإعلام .. وكلما كانت وسيلة الإعلام أكثر جماهيرية ، كان خطابهم الإعلامي أكثر تمتعاً بصفات السمو والرفعة ، كما صارت هذه الحركة تتسم بالتعالي والعجرفة ، ولا تصغي لوجهات النظر الأخرى أو الاعتراض على آرائها ، وتعتبر النقد سياسة تضحي بالمبادئ الأخلاقية .

* * *

المبحث الخامس
مفهوم الأصولية وحرب المصطلحات الإعلامية

هناك خلط واضح – سواء بقصد أو بغير قصد – من الإعلام الغربي في المفاهيم المتعلقة بالقضايا الإسلامية ، مثل الفرق بين الإسلام والتوجهات والحركات الإسلامية وكذلك مفهوم " الأصولية " ، " التطرف " ، " الإرهاب " "الراديكالية الإسلامية " و " الإسلام السياسي" .. فهذه المصطلحات من صنع الإعلام الغربي بصفة عامة ولا وجود لها فى اللغة العربية أو الثقافة الإسلامية إلا منذ سنوات قليلة ماضية ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً في الدلالات والمعاني، بين ما يريده الإعلام الغربي من هذه المصطلحات وبين معانيها في العالم العربي والإسلامي .

مصطلح التطرف

إن العالم الإسلامي لا يعرف مصطلح "التطرف" فهناك "الغلو" أو "التشدد" ، وهي حالة من الشطط في الأفكار أو المعتقدات لا تخرج إلى حيث الفعل ، أما في الأعلام الأوروبي والغربي بصفة عامة ، فالتطرف والإرهاب سواء .. كما أن "الإرهاب" في الأعلام الأوروبي هو كل نشاط أو رد فعل يخالف السياسات الغربية، وبالتالي فإن حركة حماس وحزب الله من الإرهابيين، أما علماء الإسلام فيرون (في اجتماع عقد في شهر يناير ٢٠٠٢م في مكة) أن الإرهاب هو" كل عمل يمثل عدوان ضد الإنسان أو دينه أو روحه أو ممتلكاته أو أفكاره" وبناء على ذلك فالمقاومة ضد الاحتلال ليست إرهاباً ،بل قتل الفلسطينيين الأبرياء هو الإرهاب . (٦٤)

مصطلح الأصولية

أما "الأصولية" فهي في الإعلام الغربي تعني التخلف والجمود والرجعية (هذا هو المعنى الذى عرف عنها فى أوروبا في عصر النهضة) .. بينما "الاصولية" في الفكر الإسلامى هي عملية وضع القواعد التى قام عليها الفقه الاسلامى ، والأصوليون هم العلماء المتخصصون في أصول الفقه ... وفي العصر الحديث أصطلح على إنها تعني حركة "البعث" أو "الإحياء" الإسلامي والعودة للجذور الإسلامية من القران والسنة ، واتباع الشريعة في كافة مناحى الحياة .. وبناءً على ما سبق فإنه يمكن الأخذ في عين الاعتبار أن مفهوم مصطلح "الأصولية" من وجهة نظر الإعلام الغربي هو مصطلح سلبي ، وهو دليل في أغلب الأحيان على تقدم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين .. وجدير بالذكر أن الإعلام العربي والإسلامي قد نقل المعانى السابقة إلى قاموسه اللغوي ومرجعيته الدلالية ، نقلاً عن الإعلام الغربي(الذى مارس عملية نحت لغوى لهذه المصطلحات دون مراجعة نقدية).

اتسمت كثير من المعالجات الإعلامية الغربية حول "الأصولية" بالتحيز الواضح ورسم صورة سيئة للإسلام والمسلمين من خلال الربط بين الأصولية وحركة التدين بصفة عامة ، مع التركيز على أحداث العنف من بعض الجماعات الإسلامية والربط بين هذه الأحداث والإسلام أو التركيز على ما يحدث بين أبناء الجاليات الإسلامية فى الغرب وربطه بظاهرة الأصولية .. وفى هذا الإطار نشرت صحيفة " لوبوان" الفرنسية تحقيقاً صحفيّاً في نهاية شهر مارس ١٩٩٦م حول أوضاع المسلمين في فرنسا اعتمدت على شهادات حية لعدد من أبناء الجالية المسلمة هناك ، إلى جانب لقاء مع أحد المهتمين بقضايا الإسلام والمسلمين ، وكان الحوار عن جذور التطرف ومنابع الأصولية الإسلامية في فرنسا حيث أشار هذا المفكر إلى دور أئمة المساجد في فرنسا الذين يتولون مسئولية الإرشاد الديني

بين أبناء الجالية المسلمة هناك ، وأن معظم هؤلاء الأئمة غير متعلمين أو متوسطى التعليم خاصة القادمين من شمال إفريقيا . وحذرت الصحيفة في ختام التحقيق من حدوث انتفاضة إسلامية على الطريقة الفرنسية ، تشبه الانتفاضة الفلسطينية بين مسلمي فرنسا وأشارت إلى قول أحد الكتَّاب الفرنسيين بأن السيطرة على أفعال المسلمين في فرنسا هي السبيل الوحيد والصحيح لإزالة جميع أشكال التوتر والشعور بعدم الأمان في المجتمع الفرنسي .. وهناك أمثلة عديدة في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية للتشويه المتعمد في تصوير" الظاهرة الإسلامية" والخلط في المفاهيم منها مانشرته معظم الصحف الإيطالية في أوائل عام ١٩٩٧م عن مقتل أسقف فلبيني في جزيرة جولو الواقعة جنوب الفلبين وتقطنها أغلبية كبيرة من المسلمين وقد اشتبه رجال الأمن فى أن أحد أعضاء جماعة "أبو سياف" الإسلامية قد ارتكب هذه الجريمة ، حيث إن هذه الجماعة التى تنادى بالاستقلال عن الفلبين ، قد نظمت فى الأعوام الأخيرة عدداً من الاعتداءات وكانت أبرز الصحف الإيطالية في تناول الحدث هي صحيفة "كوريري ديلاسيرا" تحت عنوان " جماعة أبو سياف التى تمولها الدول العربية ومرتبطة بالإرهاب الدولي كانت تريد اغتيال البابا بواسطة انتحارى فدائى" ، بقلم "جويدو اولمبيو" الكاتب الصحفي المتخصص في الكتابات التى تتناول الأنشطة الإرهابية جاء فيه :

١- إن المتطرفين الإسلاميين التابعين لجماعة "أبو سياف" لهم حساب مفتوح مع الكنيسة الكاثوليكية ،أي أن كل من يمثل المسيحية يعتبر هدفاً يجب ضربه ، فالمجاهدون في مشروعهم الهادف إلي خلق جمهورية إسلامية جنوب الفلبين لا يتوقفون أمام أحد بما في ذلك البابا الذي نظموا له محاولة اغتيال في يناير ١٩٩٥م اثناء زيارته للفلبين .

٢- إن "أبو سياف" نفسه قد تربى في مدارس "الأصولية الإسلامية" في باكستان في معسكرات الجهاد ضد الروس .

٣- رجال أبو سياف تآمروا لتدمير طائرة أمريكية وضرب البيت الأبيض والقيادة العامة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأنهم يقومون بحملة تصفية جسدية للقساوسة والمبشرين والموظفين ،وأنهم يتلقون الدعم المالى من بعض دول العالم العربي مثل : ليبيا ،وسوريا ومن رجال أعمال الخليج الأثرياء

يلاحظ القارئ مدى الخلط والتشويه الذى تقدمه هذه المعالجة الصحفية لصورة الإسلام والمسلمين، وذلك عندما يطالع هذا المقال الذي يربط بين المتطرفين المسلمين ومحاولة اغتيال البابا وقتل أسقف فلبيني وغيره من القساوسة والمبشرين ، وأن قيام جمهورية إسلامية يعني عدم التوقف أمام أى ممنوعات أو محظورات فعلى الفور سيدرك القارئ الإيطالي المسيحي أن هذا هو موقف الإسلام نفسه من غير المسلمين .

ومن الأمثلة الصارخة فى هذا السياق مقال البروفيسور الروسي "اليكس مالا شينكو" الأستاذ بمعهد العلاقات الدولية بموسكو والذى نُشر في الملحق الدينى الأسبوعي لصحيفة "تيزا فسيمايا" آواخر يونيو ٢٠٠٢م حول العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي من وجهة النظر الروسية وجاء فيه :

١- إن الصراع في الشرق الأوسط بين العرب واليهود هو صراع سياسي ولكن يؤججه العامل الديني ، وذلك في معرض حديثه عن أسباب التطرف في العالم الإسلامي .

٢- كما يرى أن ظاهرة التطرف توجد في الإسلام أكثر من أى دين آخر ، ولكنه في نفس الوقت يرى أنه لا يجوز أن نساوى التطرف الإسلامي بالإسلام.

٣- يشير الكاتب إلى أن استطلاعاً للرأى أجري آنذاك في موسكو ، شمل مسلمي العاصمة الروسية ، أظهر أن بعضهم يرى في" أسامة بن لادن" المسلم الحقيقي ، إذ جاء بن لادن في المرتبة الثالثة بين النماذج الصالحة التى يجب الافتداء بها في رأي الذين شملهم الاستطلاع وهم المسلمين الموسكوفيين. فهذا

المقال من وجهة نظر بعض المحللين يحاول "دس السم في العسل" أو يتحلى بقصور النظر ، ففي الوقت الذي يرفض الربط بين التطرف والإسلام ، نجده يستخدم لفظ "الإرهاب الإسلامي" "التطرف الاسلامي" ، كما أنه لم يكن الصراع العربي الإسرائيلي يوماً من الأيام يرجع إلى عامل ديني بل هو احتلال لأراضٍ عربية ، وبناءً على ذلك يرى أن العرب المسيحين يميلون إلى الاتفاق مع إسرائيل بصورة أكبر من العرب المسلمين .

فالكاتب هنا يرى المقاومة الفلسطينية عنف وإرهاب ، وهو خلط نتج عن ربط "الأصولية والإرهاب" بالإسلام . كما أن الحديث عن الاستطلاع الذى يظهر مسلمى موسكو يؤيدون "ابن لادن" ويعتبرونه ثالث نموذج إسلامي يمكن الاقتداء به ، هو تشويه خطير للصورة الإسلامية في الفترة التى جاءت بعد أحداث ١١ سبتمبر .

يؤكد "إريك رولو" مراسل صحيفة "لوموند" الفرنسية بالشرق الأوسط ، في كلمته خلال منتدى الإعلام العربي – الذى عقد في دبي خلال شهر مايو ٢٠٠٢م – أن الرأي العام الفرنسي مازال مشوشاً بالنسبة لصورة العرب والمسلمين ، وأشار إلى استفتاء حديث أظهر أن واحداً من بين كل شخصين فرنسيين يؤمن بوجود علاقة بين الإرهاب والإسلام . (٦٥)

نشرت صحيفة (ديلى تيلجراف) البريطانية تقريراً مطولاً بتاريخ ٣١/ ٨ / ٢٠٠٢م تحت عنوان (علاقة السلفيين بابن لادن) .. حيث يشير كاتبا التقرير إلى الربط بين الإسلام السلفى . المقصود هنا الإصولية الإسلامية – وبين المشتبه فيهم فى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م الذين لهم صلة بتنظيم القاعدة ، وأن المتهم الرئيسى كان كان يحمل فى أمتعته كراسة دعاية للمذهب السلفى ، وأن هناك جماعتان فى بريطانيا تتمسكان بتعاليم السلفيين ومقرها(مسجد فينسبرى بارك) وبالتالى توجيه الإتهام للمساجد والمراكز الإسلامية بالإرهاب .. كما حمل التقرير اتهام صريح للسعودية بنشر الفكر السلفى وبالتالى نشر الإرهاب ، وهو ماينطبق

على العديد من الجماعات التى تتبنى الفكر السلفى فى العالم العربى .. ويشير التقرير إلى أن (المواقع الخاصة بالجماعات السلفية على شبكة الإنترنت) من بين ١٠٠ موقع وصفها فريق البحث الأمريكى (انفورميشن برود يوزر) Information broad user بأنها وسائل لنشر التطرف الإسلامى، ومع ذلك يرى التقرير أن هناك تناقضاً بين الواقع وبين الأفكار والمبادئ المعلنة للفكر السلفى، والتى تحرم بشكل واضح الاعتداء على الأبرياء أو ارتكاب أعمال عنف.

مصطلح محور الشر

وفى إطار ما يعرف باسم (الحرب على الإرهاب) بعد أحداث سبتمبر ثم غزو أفغانستان للقضاء على القاعده وطالبان ، روَّجت الصحف الغربية لبعض المصطلحات التى أطلقتها الدوائر السياسية والآلة الإعلامية فى الولايات المتحده مثل مصطلح (محور الشر) ، حيث وقف جورج بوش الابن بالزى العسكرى على متن حاملة طائرات ليعلن انتصاره على محور الشر أى الإسلام، وعموماً فإن الإسلام بالنسبه للغرب يعتبر مرادفاً للجهاد والذى يفسر فى الغرب على أنه إرهاب، أما القرآن فهو كتاب فى نظرهم يحض على الكراهيه . انظر مجلة (جين أفريك) الفرنسية تحت عنوان(هل يشكل الإسلام عقبه أمام السلام !) بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠٠٣م . وهكذا أصبح التمييز بين الإسلام والتطرف الإسلامى فى الإعلام الغربى . ما هو إلا تجميل وتورية ، ويصرح (فرانكلين بيلى جراهام) . ابن القس الذى أقام شعائر الصلاة بمناسبة تولى جورج بوش الإبن رئيساً . بأن الإسلام (دين شيطانى وشرير) ففى الغرب أصبح الدين الوحيد الذى ينظر إليه يهذه الطريقه هو الإسلام ، ومن هنا يتضح معنى محور الشر ، كما يقول كاتب المقال السابق .

كما انتشرت خلال أعلام الغرب فى تلك الفترة مفاهيم مغلوطة عن العلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان والديموقراطية ، واعتبار أن فكر الحركات الإسلامية والإسلام السياسي ترجمة إسلامية مزيفة للفاشية الغربية وأن هذا الفكر ماهو إلا

(التفسير الخبيث للإسلام) والذى بدأ منذ عقود مضت مع الأيديولوجيين المعادين للغرب مثل أبو الأعلى المودى فى باكستان وسيد قطب فى مصر ، فأصبحت أفكارهم عن البربرية الغربية وصحوة الإسلام عليها شعارات وضعت لدفع المتعصبين للقتل [٦٦] حتى ذهب البعض بعد سقوط صدام حسين عام ٢٠٠٣م إلى أنه من البديهى والواضح أن القانون الوحيد الذى يمكن تطبيقه فى العراق مثلاً هو القانون الإسلامى وشريعة القرآن وأنه يختلف تماماً عن مبدأ حقوق الإنسان الذى على أساسه تقوم الديموقراطيات ... ويرى هؤلاء من المؤكد أنه لم يحدث قط فى أى بلد إسلامى أن تمخضت الانتخابات عن ديموقراطية حقيقية كما ورد فى صحيفة (كوريير ى ديلاسيرا) الإيطالية ٢٩ / ٤/ ٢٠٠٣م .

استخدام الإعلام الأوروبى مصطلحات لها علاقة مثلاً (بالأمراض) فعندما يدور الحديث عن التطرف الإسلامى بأنه ورم سرطانى . كما جاء فى مجلة دير شبينجيل ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٢م . فإن التسمية المثيرة للخوف والاشمئزاز تتضمن فى حد ذاتها دعوة للقضاء على الإسلام وتدميره باعتبار أنه ورم سرطانى !! ، ولكنه من الملاحظ – كما سبق ذكر ذلك مراراً– أنه نادراً ما يتم الفصل بين التطرف والإسلام بصورة واضحة وجلية .. وقد استخدمت الصحف الفرنسية تعبير(حمى الإسلام) مثل صحيفة (لواكسبريس) بتاريخ ٢٠٠١/١١/١م في الصفحة الأولى، رغم أن المقصود هو الإشارة إلى التطرف ، ويأتى فى إطار الخلط الواضح فى استخدام المفاهيم والمصطلحات ، عبارات مثل : (المعتدى المسلم) ، (الإرهابى الإسلامى) ، (المتطرف المسلم) .

الخلط بين الاستشهاد والانتحار ، والاحتلال والتحرير

وفى إطار حرب المصطلحات ، تتم ترجمة بعض المصطلحات بما يغير دلالاتها مثل استخدام لفظ انتحارى أو عمليات انتحارية ، بدلاً من شهيد أو عمليات استشهادية ، خاصة بما يتعلق بالمقاومة الفلسطينية للاحتلال

الإسرائيلى.. كما تستخدم القنوات التليفزيونية الكبرى مثل C.NN عبارات مراوغة مقتبسة من القاموس العسكرى لتعبر عن اغتيالات الجيش الإسرائيلى للعناصر الفلسطينية بـ Target Killing (قتل هادف) بدلاً من تسميتها الصحيحة (جريمة قتل) Assassination ، كما أطلقت العديد من وسائل الإعلام الغربية على الاجتياح الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣م (حرب تحرير) of War Liberation بدلاً من الاسم الحقيقى وهو (حرب احتلال) of War Occupation أو غزو العراق مثلاً .

أطلقت بعض الصحف الأوروبية والغربية – بصفة عامة– مصطلحات عنصرية على حركات الإسلام السياسي ، مثل الفاشية الإسلامية مع الربط بين الإسلاميين و(النازيين الجدد) ، لأنهم يظلون متحدين جميعاً فى (الحقد على المرأة ومعادات السامية ورفض الديموقراطية والأفكار التحريرية والممارسة الإختيارية للجنس) ، وهذه ليست سوى بعض السمات المشتركة التى تجمع بينهما ، مثل الرؤية العامة للعالم وصورة العدو النموذجى) كما نشرت صحيفة TAZ الألمانية بتاريخ ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤م .

تجاهل الجرائم العنصرية ضد المسلمين

ومن الملاحظ أنه عندما يتم ارتكاب جرائم عنصرية ، من قتل واعتداء على المسلمين ومساجدهم ، على أيدى متطرفين ، فإن وسائل الإعلام فى أوروبا والولايات المتحدة تتجاهل تناولها بشكل موسع فى النقاشات والحوارات التى تقدمها ولا نلاحظ تكرارها أو التركيز عليها، فالرغم من أن قيام متطرف يمينى باغتيال المواطنة المصرية مروة الشربينى فى قاعة محكمة مدينة (دريسدن بألمانيا) كان صرخة مدوية ونموذج صارخ تحذر من خطر السموم العنصرية ضد المسلمين ، إلا أن الحدث سرعان ماجرى تجاهله فى الأعلام الأوروبى وفى الحلقات النقاشية، بزعم أنه لا يوجد ربط بين هذه الجريمة والحركة العنصرية المعادية للإسلام ،

على الرغم من أن واقع الحال يشهد فعلاً وجود هذا الربط ، فالحركة المعادية للإسلام فى ألمانيا خلقت مناخاً يعطى لكل مجرم الانطباع بأنه محق فيما يقترف من عمليات إجرامية ضد المسلمين وأنه يتصرف بأسم أغلبية المواطنين الألمانين . كما جاء بموقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامى qantara .de تحت عنوان " جدل حول الإسلام فى ألمانيا : لماذا يتعلق الإعلام الألمانى فى الحركة المعادية للإسلام " بتاريخ ١٠/١٠/ ٢٠١٠م .

تعمد تشويه الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين

إن تناول الإعلام الغربي لظاهرة الأصولية الإسلامية والاعتراف الصريح بتعمد تشويه الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين يأتى من خلال شهادات بعض الإعلامين والباحثين المتخصصين فى القضايا الإسلامية ، الذين ينتمون بقدر كبير من الشجاعة والموضوعية ومن أهم هؤلاء الخبراء:

روجرهاردلى المحلل السياسى المتخصص فى شئون الشرق الأوسط فى هيئة الإذاعة البريطانية B . B . C والذى قدم برنامج (الإسلام : عقيدة وقوة) حيث يعترف بأن الفهم الأوروبى للإسلام ذو بعد واحد والذى لا يمثل فقط صورة سلبية وعدائية للإسلام والمسلمين ، بل يمثل نظرة سطحية وخطيرة .. ويشير إلى أنه من خلال برنامجه السابق قد تعرض إلى تعريف مصطلح (الإسلام السياسى) وعلاقته بالإسلام وهل يمثل خطراً وتهديداً للغرب ؟ إلى جانب بحث قضية مستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب خاصة فى بريطانيا حيث توصل إلى قناعات تؤكد وقوع خلط واضح فى المصطلحات والتعريفات خاصة الخلط بين الدين الإسلامى ومبادئة وبين ما اصطلح على تسميته بالأصولية الإسلامية وكذلك الخلط بين المسلمين وما أصطلح على تسميتهم (بالأصوليين) وهذا فى حد ذاته خطأ واضح ومنحنى خطير يؤثر فى تشكيل صورة معينة عن الإسلام . ويؤكد هاردلى فى محاضرة ألقاهابنادى الخليج الثقافى فى لندن ١٩٩٦م . على

آرائه السابقة حول التوجه العام،الذى يمكن ان نسميه " توجيه التعميم " ، فعندما يقوم مسلم بعمل شئ ما فإن هذا يعني أن الاسلام هو الذى فعل ذلك . وفق التوجه العام . وهذا التوجه ليس جديداً ، ولكنه اليوم أكثر تطوراً وشراسة وفي هذا الإطار يأتي أستاذ من جامعة هارفارد الأمريكية . صمويل هانتنجتون . ليدخل نظريته ضمن هذه التصورات "السوقية " عن الإسلام ،فنظرية صراع الحضارات التى نشرت عام ١٩٩٣م في مجلة " شئون خارجية " foreign affairs " لم تأت من فراغ ، وهي صورة "سوقية " مشوهة يحملها المواطن العادى . مثل سائق التاكسي والعامل . عن الإسلام ، ولكن هذه التصورات تأخذ مكانة أكبر عندما يتحدث عنها أناس مثقفون مثل هانتنجتون وأنا لا أعتقد أن الإسلام خطر أو أن "الإسلام السياسي" خطر أيضاً ، ولكن أهم الأخطار هى الجهل والكراهية وعدم قبول الأخر . بغض النظر عن الجهة التى تمارس ذلك .

"فرانسوا بورجا" الباحث الفرنسى المتخصص فى الشئون الإسلامية والذى يشير فى كتابة "وجها لوجه : الظاهرة الإسلامية " إلى اتجاه الإعلام الأوروبى والغربى . بصفة عامة . للغايات الكبرى لـ "الظاهرة الإسلامية" ومحاولة تحريف خطاب المنتمين إليها وإبراز نقائصها وسلبياتها وإثارة المخاوف منها ويدلل على ذلك بأمثلة حيَّة عن تعامل الصحفيين مع هذه الظاهرة ، خاصة عندما يلجئون إلى الاستشهاد بأقوال وتصريحات (من ليس لهم أدنى تمثيل للظاهرة) .. وبالتالى فإن النتيجة الحتمية والطبيعية لهذه القراءة السطحية والتفسيرات العرجاء ، أن القارئ أو المشاهد . المتلقى . متوسط التعليم أو الثقافة قد يلجأ. لضيق الوقت أو عدم الرغبة فى التعمق . إلى الاكتفاء بما تقدمه وسائل الإعلام ولا يهتم بالبحث بدقة عن مدى صحة المعلومات والأفكار التى تقدم إليه ، فيقوم باستنكار ما أطلق عليه "الراديكالية" أو التطرف الإسلامى ... كما أن كثيراً من الدوائر العلمية فى أوروبا والغرب تسهم فى تكريس هذه الصورة المشوهه بل تضفى عليها المصداقية والشرعية . ويوضح الباحث فى نهاية كتابه أن الإعلام الأوروبى يبرز الوجه

السيئ للظاهرة الإسلامية من خلال التركيز على العناصر والحركات غير المنضبطة والتى لا تعبر عن مجمل "الظاهرة الإسلامية" والتى تحمل بعض الجوانب الإيجابية . مثل التصدى للغزو الثقافى وكذلك استرداد الهوية . لذلك فإن عدم تقبل هذه الظاهرة يمثل فشلاً إعلاميّاً فى معالجة لهذة الظاهرة .

د. جون إسبوزيتو ، أستاذ الأديان والشئون الدولية والدرسات الإسلامية بجامعة جورج تاون الأمريكية ، ومدير مركز التفاهم الإسلامى المسيحى ، كما أنه باحث متخصص فى الإسلام وتأثير الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى، وعمل رئيساً لاتحاد دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا الشمالية والمجلس الأمريكى لدراسة المجتمعات الإسلامية ونائب مدير مركز درسات الإسلام والديموقراطية .. ومن أهم أعماله موسوعة إكسفورد عن العالم الإسلامى المعاصر وموسوعة اكسفورد لتاريخ الإسلام .. كما تضم مؤلفاته – التى تزيد عن٢٥ كتاباً – كتاب "الإسلام :الطريق المستقيم" وكتاب "الإسلام والسياسة " و"الإسلام والديموقراطية " و"الإسلام السياسى : ثورة أم راديكالية أم اصلاح "وكتاب "الإسلام والعلمانية فى الشرق الأوسط و"الثورة الإيرانية : التأثير العالمى" و " الدين والنظام العالمى " و " الإسلام فى آسيا : الدين والسياسة والمجتمع" و " الإسلام والتنمية " .

واسبوزريتو مقيم حالياً فى واشنطن ، وهو أسباني الأصل وقد تمت ترجمت كتبه إلى اللغة العربية وعدة لغات أسيوية إلى جانب اللغات الأوروبية.

يؤكد إسبوزيتو أن عملية الخلط فى المفاهيم فى الإعلام الغربى تؤدى إلى تقديم صورة سلبية عن الإسلام كدين والمسلمين كأمة ... فيقول "إن اتجاه الحكومات ووسائل الإعلام لا تساوى بين الإسلام و"الأصولية الإسلامية "وبين الراديكالية والإرهاب ، فإن ذلك يعيق فهمنا ويحكم استجاباتنا للأحداث التى تجرى فى العالم الإسلامى على نحو خطير "ويرى أن وسائل الإعلام الغربية . بصفة عامة . تركز على أن الإسلام هو الأصولية فى إيران والثراء العربى الفاحش فى الخليج ، والموقف بصورة عامة تجاه الإسلام ،وهو أن (الإسلام هوالأصولية ،والأصولية

هى التطرف ، والتطرف هو الإرهاب والعنف ،وكلما كان الشخص متديناً يظن أنه سيصبح متطرفاً ومجرماً) .. كما يشير اسبوزيتو إلى أنه ثمة تحليل انتقادى . يميل إلى فكر الأزمة . يربط بين الإسلام والأحداث الجارية فى العالم الإسلامى ويقوم بهذا التحليل علماء بارزون ومعلقون سياسيون ، غالباً ما يكون مصدر توجية للمقالات الافتتاحية عن القضايا الإسلامية ، تحت عناوين مثيرة وملفتة للنظر مثل "صدام الثقافات : صعود الإسلام فى فرنسا يزعج عامة الشعب ويقود إلى حركة رجعية "والذى نشر بجريدة "صنداى تليجراف" البريطانية يوم ١ من يناير ١٩٩٥م ، وفى نفس اليوم نشرت صحيفة "صنداتايمز" مقالاً تحت عنوان "جزائريون فى لندن يموِّلون الإرهاب الإسلامى " ، "الأمير تشارلز على خطأ .. الإسلام يهدد الغرب فعلاً ، وهو مقال ينتقد صاحبه الكاتب بجريدة " ديلى تليجراف " توجيهات الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا للتقريب فى وجهات النظر بين الإسلام والغرب .

ويؤكد أسبوزيتو أن عملية الخلط بين المفاهيم والتصورات فى فهم "الظاهرة الإسلامية " يرجع إلى :

١- ندرة الباحثين المتخصصين فى دراسات الشرق الأوسط عموماً والدراسات الإسلامية خصوصاً ،بما يعنى أن الكثير منهم يحاولون تغطية مساحات جغرافية شاسعة وموضوعات مختلفة مثل القانون والسياسة والتاريخ ، سواء فى أبحاثهم ودراساتهم أو بوصفهم معلقين فى وسائل الإعلام .

٢- كثير من الباحثين فى الإسلام تدرَّبوا على التعامل مع الماضى بدلاً من الفترات الحديثة والمعاصرة .

٣- بما أن كثيراً من الخبراء جاءوا بانحياز أكاديمى وكذلك بقدر قليل من المعلومات الصحيحة عن الإسلام والبعد الإسلامى للمجتمعات الإسلامية فإن هناك اتجاهاً أكبر نحو التعميم أو الخروج باستنتاجات استنباطية من الانحيازات إلى جانب الفهم الضحل للإسلام والتقاليد الدينية .

٤- معظم المعلقين فى وسائل الإعلام نالوا تعليماً محدوداً وكان اتصالهم وخبرتهم بالظاهرة الإسلامية أقل مما ينبغى . [٦٧]

الكتّاب العرب ومصطلح الأصولية

كثير من الكتاب والمفكرين العرب سار على نفس الدرب واستعمل مصطلح الأصولية فى الإعلام العربى دون التفريق بين معناها الإسلامى الصحيح . أى المشتغلين بعلم الأصول فى الإسلام أو "الإحياء " و"البعث " . ومعناها فى أذهان الأوروبين والغربيين حيث تعطى الانطباع بالتشدد والتعصب ويؤدى استعمال الأصولية اليومى فى التقارير الصحفية والمرئية إلى غياب معناها الأصلى ، وقد حدث ذلك بالفعل وأصبحت متداولة فى حلقات المفكرين أنفسهم دون تحفظ أحياناً ، وإذا ما تمَّ تسجيل التحفظ . مع القبول باستعمالها لتسهيل النقاش . فإن هذا التحفظ لا يؤثر فى أذهان الناس ولا يبقى إلا مايتردد وبشكل يومى مكثف من معان سلبية . وهنا ضرورة تنقية لغة الخطاب الإعلامى العربى من الألفاظ ذات المعانى المتشابهة والمختلفة ورفض استعمالها تماماً ، طالما أن لمثل هذه الألفاظ معنى آخر مختلف لدى أبناء الحضارات الأخرى[٦٨]

وفى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى السيطرة الإعلامية الأمريكية ، والتى تهدف إلى اختراق المجتمعات العربية والإسلامية ، من خلال أجهزة إعلام تتحدث بلغاتها تقوم بنقل نمط البرامج والأفكار . الأمريكية . عبر تدريب الإعلاميين وتطوير مهاراتهم ، وإكسابهم الأفكار والقيم الأمريكية والغربية بصفة عامة ، لا سيما خلال برامج التوك شو ، أو السيطرة من المنبع على الأخبار والمعلومات والتحليلات وتقديمها للصحف والفضائيات جاهزة الصنع،حاملة مفاهيم ورؤى ومصطلحات الولايات المتحدة وأوروبا،خاصة فيما يتعلق بالقضايا الإسلامية. [٦٩]

***

هوامش الفصل الثاني

١) مراد هوفمان " العقلية الأوروبية والإسلام "، جريدة الشرق الأوسط ،لندن ،١٤ مارس ١٩٩٤م .

٢) جريدة عكاظ السعودية: "العنصرية ضد الأقليات"٢٥، يونيو ١٩٩٣ ، ص ١٧.

٣) جون ل . اسبو زيتو: " التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة" ، ترجمة عبده قاسم، دار الشرق الأوسط، القاهرة ، ٢٠٠١م.

٤) (Ahmed Islam ,living (London : BBC book ltd ,1993.) . Akbar .

٥) المصدر السابق ، ص١٤.

٦) مراد هوفمان " العقلية الأوروبية والإسلام "جريدة الشرق الأوسط ،مصدر سابق .

٧) ابريش فولات: " من كان محمد ؟وما هو سر الإسلام" ، مجلة دير شبيجل الألمانية ، ٢ يونيو ٢٠٠١.

٨) رجب البنا: "تشويه القرآن في ترجمتة على يد أعدائه " ، مجلة أكتوبر، القاهرة ،٨ ديسمبر ٢٠٠٢ص ١٣.

٩) رجب البنا: المصدر السابق ص ١٤.

١٠) رجب البنا: المصدر السابق ص ٨.

١١) رجب البنا:"تشويه الإسلام صناعة قديمة "مجلة أكتوبر، القاهرة ،٣ نوفمبر ٢٠٠٢م ص ١١.

١٢) رجب البنا: المصدر السابق ص ١٢.

١٣) المصدر السابق ص٩.

١٤) المصدر السابق ص١٣.

١٥) رجب البنا: تشويه الإسلام، مصدر سابق ص ٨.

١٦) المصدر السابق ص ١٠ .

١٧) رجب البنا : تشويه القرآن، مصدر سابق، ص ١٣ .

١٨) جريدة العالم الاسلامى السعودية :" الإستشراق ما له وما عليه ؟ المستشرقون حوروا كثيراً من الشواهد الإسلامية عمداً أو عن جهل " ،١١ سبتمبر ١٩٩٥ ص ١٠ .

١٩) رجب البنا: تشويه الإسلام، مصدر السابق ص ٨، ٩ .

٢٠) جريدة العالم الاسلامى السعودية :" الاستشراق ما له وما عليه ؟ المستشرقون حوروا كثيرا من الشواهد الإسلامية عمدا او عن جهل " ،١١ سبتمبر ١٩٩٥م ص١٠ .

٢١) كاي هانز وآخرون: "الإسلام والغرب : بداية للحوار ، فرانكفورت، دار فيشر للنشر،١٩٩٩م.

٢٢) د.حازم الببلاوى: "أين الخطأ ؟ "،جريدة الأهرام ،القاهرة ،٢٨يوليو ٢٠٠٢م.

23). Akbar S.Ahmed Islam Today , London, 1999

٢٤) جريدة العالم الإسلامي السعودية ، ٦ نوفمبر ١٩٩٥م .

٢٥) عبد الباسط عبد الدين :"أوراق عائد من عاصمة الضباب " جريدة العالم الإسلامي السعودية ٢٦ فبراير ١٩٩٦م .

٢٦) جريدة عكاظ السعودية ، ٢٥ يونيو ١٩٩٣م ، ص١٧ .

٢٧) تقرير إعلامي حول ندوة "أن نفهم الإسلام : أوروبا بين الحوار الصراع" ، روما ، ٦ ديسمبر ١٩٩٧م .

٢٨) محمد السماك :"أوروبا من العداء لليهود الي العداء للمسلمين " ، جريدة الشروق ، القاهرة ،٢٧ فبراير ٢٠١١م ،ص ١٤.

٢٩) المصدر السابق.

٣٠) مجلة فكر وفن الألمانية : " صورة الإسلام في الإعلام الألماني"، بون ، يونيو ٢٠١٠م .

٣١) الدكتور بهجت قرني : " صورة العرب والمسلمين في العالم " ، محاضرة بالهيئة العامة للإستعلامات، القاهرة ، ٣ يوليو ٢٠٠٤م.

٣٢) مجلة فكرة وفن ، المصدر السابق .

٣٣) مني ياسين:مقدمة كتاب "الغرب والإسلام" دار جهاد، القاهرة،١٩٩٤م.

٣٤) صامويل هانتنجتون :"الديمقراطية".. الدين والموجة الثالثة " مجلة إنترناشيونال فرست عدد ٢٤ ،١٩٩١م.

٣٥) مجلة لوموند دبلوماتيك الفرنسية ، باللغة العربية ، عدد شهر ديسمبر ١٩٩٤م.

٣٦) جريدة عكاظ السعودية : (الوجه الأسود لحضارة الغرب)،٦/٢٥/ ١٩٩٣م .

٣٧) Jochen Hippler (The Next Threat: Westen Perecptions of Islam).

٣٨) جون ل. إسبوزيتو : التهديد الإسلامي ، مصدر سابق.

٣٩) Jochen Hippler: (Islam amd The West in the Mass Media).

٤٠) المرجع السابق Ibid .

٤١) المرجع السابق Ibid .

٤٢) منى ياسين ، مصدر سابق .

٤٣) جون ل. إسبوزيتو : التهديد الإسلامي، مصدر سابق.

٤٤) صحيفة "أفريكاريبورت "، سبتمبر ١٩٩٠م.

٤٥) إسبوزيتو ، المصدر السابق .

٤٦) معالي عبد الحميد جودة :"الحطر الأخضر" ، جريدة العالم السعودية ، ٢٦ فبراير ١٩٩٦م.

٤٧) جريدة أخبار اليوم القاهرية :" لا للتعميم .. ولا للعقاب الجماعي منا أو علينا "١٨ فبراير ٢٠٠٦م ، ص١٠ .

٤٨) جريدة أخبار: اليوم "الدنمارك في دوامة الإساءة للإسلام "، القاهرة ، ١٨فبراير ٢٠٠٦ م.

٤٩) سلامة أحمد سلامة ، عمود صحفي بعنوان "من قريب " جريدة الأهرام المصرية ،١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م .

٥٠) جريدة أخبار اليوم القاهرية :" مع تصاعد التطرف الديني .. النموذج الأمريكي خطر يهدد أوروبا" ،١١ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص٩ .

٥١) جريدة الوفد المصرية : " هولندا تصعد حملتها العدوانية ضد المسلمين"١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م، ص١ .

٥٢) إبراهارد زايدل :" العداء للإسلام في ألمانيا : عندما يتجاوز الإستياء حدوده "، صحيفة TAZ الألمانية ، ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤م ، ترجمة علي مصباح.

٥٣) المصدر السابق .

٥٤) د. عبد الله يوسف سهر : "معضلة الرؤية الغربية للإسلام والعرب"، جريدة الرأى الكويتية ، ٥ فبراير ١٩٩٧م.

٥٥) إسبوزيتو، مصدر سابق، ص ٥٠ .

٥٦) كاى هانز وآخرون ، مصدر سابق.

٥٧) د. عبد الله يوسف سهر ، مصدر سابق.

٥٨) جانيس تيري :"الإتجاهات الصهيونية تجاه العرب " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد الخامس المجلد الاول ، فريق ١٩٧٦م ، ص٧٣ .

٥٩) صدر الكتاب في لندن ١٩٧٥م عن دار لونجمان.

٦٠) محمد العويضي : " تضليل إعلامي علي الطريقة الإسرائيلية " ، صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية . الطبعة العربية . سبتمبر ٢٠٠٥م.

٦١) المصدر السابق .

٦٢) انظر الموقع الذي نشر نتائج الدراسة news\ www.london.gov.uk docs/qasadawi-dossier.vtf

٦٣) بلال الحسن : " سياسة الاستسلام " دار رياض الريس ، بيروت ، 2005.

٦٤) جريدة الجرائد العالمية ، الحرب علي الإرهاب والتحديات الثلاثة ، الهيئة العامة للاستعلامات ١٩/٢/٢٠٠٢م .

٦٥) جريدة أخبار اليوم القاهرية " الإعلام العربي يفشل في التصدي لأكاذيب إسرائيل" ٤ مايو ٢٠٠٢م.

٦٦) جريدة الشرق الأوسط ، لندن ، ٢٥ مارس ١٩٩٦م ص١٢ .

٦٧) إسبوزيتو ، التهديد الإسلامى ، مصدر سابق ، ص٣٥٨.

٦٨) د. محجوب عمر خلال تقديمه لكتاب "الإسلام والغرب " لعدة كتاب ، القاهرة١٩٩٤م

٦٩) طلعت رميح :"صحف وقضائيات مصرية وعربية .. صناعة أمريكية" ، جريدة الفتح القاهرية ، ١٨ نوفمبر ٢٠١١ ، ص٥ .

***